



مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

أمير شعراء النبط
محمد بن لعبون

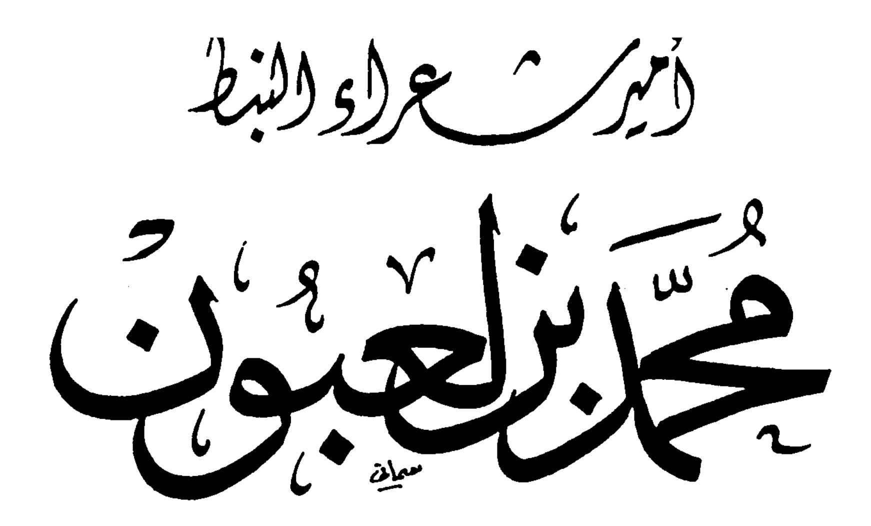
١٢٠٥-١٢٤٧ هـ

سيرته ودراسة في شعره

تاليف

د. عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون

يصدر بمناسبة
إقامة ملتقى
ابن لعبون
الكويت
٢٧-١٩٩٧/١٠/٣٠



مدخل لدراسة سيرته وشعره

تأليف

الدكتور/ عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون

ⓒ دار ابن لعبون للنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ابن لعبون، عبد العزيز بن عبدالله

أمير شعراء النبط محمد بن لعبون : مدخل لدراسة سيرته وشعره

١١٨ ص؛ ٢٤ سم

ردمك ٥-٠-٩٩-٩٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-١-٩٩-٩٠-٩٩٦٠ (ج١)

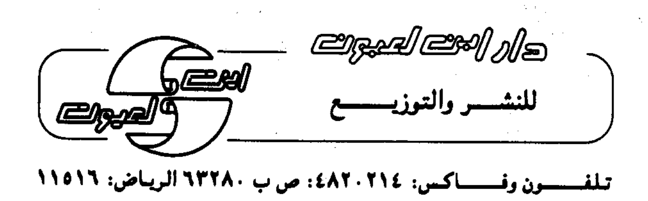
١- ابن لعبون، محمد بن لعبون ٢- السعودية- الشعراء العرب

٣- السعودية- الشعر الشعبي - دواوين وقصائد أ- العنوان

ديوي ٩٢٨،١٥٣١ ١٦/٠٩٤٠

من إصدارات:

مجموعة ابن لعبون



تلفون وفاكس: ٤٨٢٠٢١٤: ص ب ٦٣٢٨٠ الرياض: ١١٥١٦



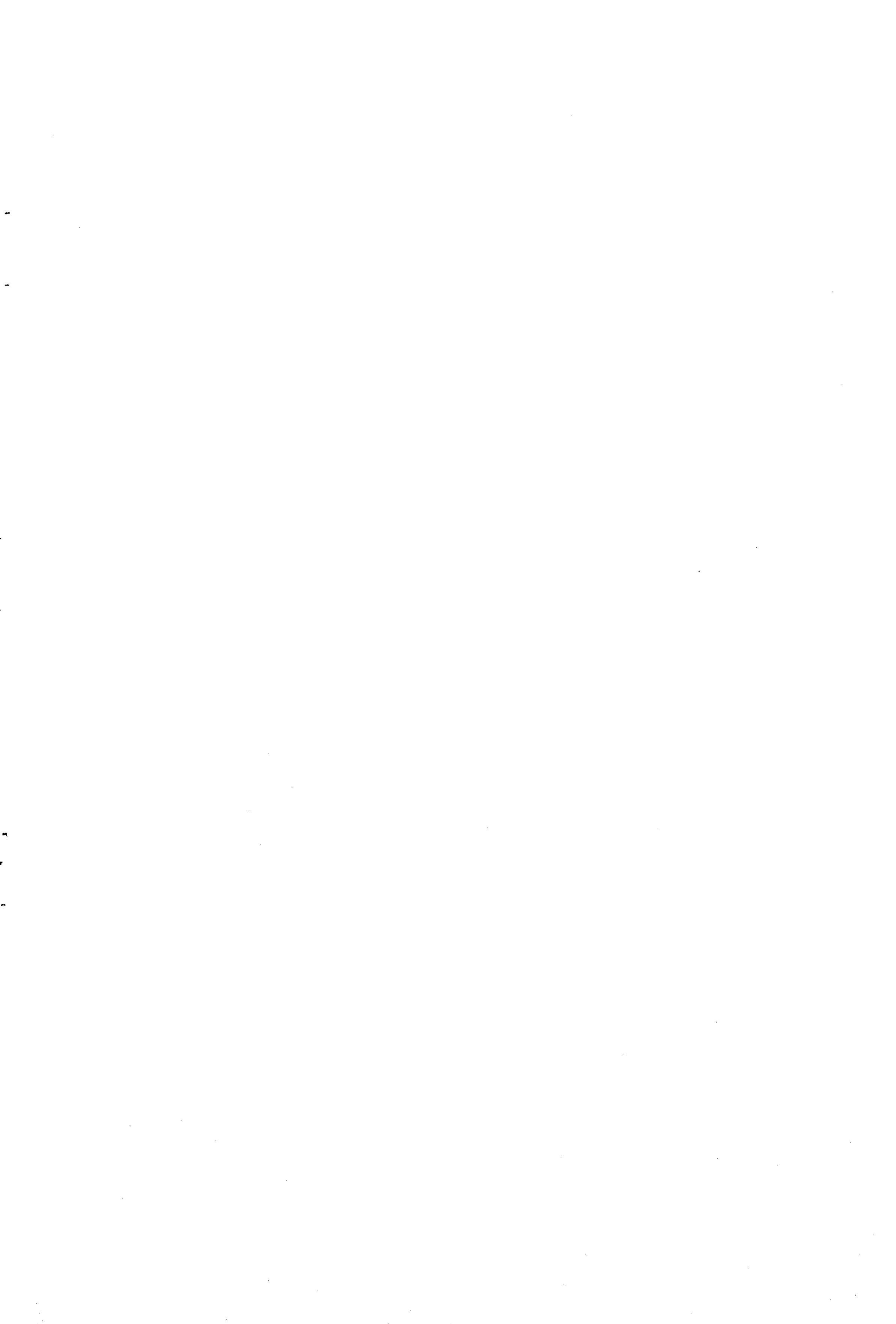
إهـــداء

إلى كل المهتمين والمتذوقين للشعر النبطي بشكل عام
وإلى كل مهتم ومتذوق لشعر ابن لعبون بشكل خاص
أهدي هذا العمل المتواضع.

دعـــوة

إلى كل من لديه معلومة عن ابن لعبون أو قصائد
أو أبيات من شعره أن يتكرم مشكوراً بتزويدي بها
أو نشرها لتتكامل الصورة عن ابن لعبون وشعره
ولتضاف إلى ديوانه الذي سيصدر قريبًا

المؤلف : د. عبد العزيز بن عبدالله بن لعبون
ص ب: ٦٣٢٨٠ الرياض ١١٥١٦
هاتف/ فاكس: ٤٨٢٠٢١٤



المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن



Abdullah Bin Mohammed Bin Khamis



عبدالله بن محمد بن خميس

التاريخ / / ١٤هـ الموافق / / ١٩م

التقديم بقلم الأديب الكبير

عبدالله بن محمد بن خميس

تقديم

ابن لعبون شاعر مفلق، فذ، عملاق، قرأت له عددا عديدا من قصائده النبطية التي تقطر عذوبة، وبيانا، وأثر في شعراء النبط تأثيرًا كبيرًا، بل في كل من قال شعرًا شعبيًا، وهو شاعر قارىء مفن، وقد كتبت عنه الكثير، وأشرت في كتاب لي أن بعض شعره يمكن أن يقرأ بقليل من الدربة وكأنه فصيح.

واليوم يأتيني أحد أبناء ابن لعبون وهو يتصدى لعمل كبير ألا وهو جمع شعر شاعرنا ابن لعبون كاملاً بين دفتي كتاب واحد، وهو عمل ولا شك كبير إذ يحفظ لنا تراثًا شعريًا وأدبياً، ويؤرخ لفترة تاريخية ثرة من حياة جزيرتنا العربية، وهو فوق هذا وذاك سجلٌ فنيٌ متميزٌ.

وقد لفت نظري وشد إنتباهي ذلك المدخل الخاص بدراسة سيرة ابن لعبون وشعره، فقد أجاد المؤلف إجادة تامة في عرض سيرة ابن لعبون الذاتية، وأضاف الجديد وأصلح بعض المعلومات التي طالما رددها بعض كتابنا، ولقد سررت أيما سرور بهذه الدراسة وتلك المعلومات وسعدت لما وقفت عليه من حاسة شعرية دقيقة لمؤلف العمل وهذا ليس غريبـاً عليه وهو شاعرأديب وإن كان مقلاً في إنتاجه.

ولكن المدهش في هذا أن مؤلفنا هذا الذي يتمتع بتلكم الشاعرية هو حاصل على شهادة الدكتوراه في جيولوجيا النفط فكما آتاه الله علما في كيفية الكشف عما تخبئه الأرض من مكنونات آتاه علما في كيفية الكشف عن شاعرية شاعرنا العملاق ابن لعبون.

وختاما، فإن هذا الكتاب يمثل إثراء لمكتبتنا الشعرية الشعبية، وتخليداً لذكرى ابن لعبون يرحمه الله، وتسجيلاً صادقا لحياتنا العربية في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

ص.ب ١٧٩٨ – الرياض ١١٤٤١ – هاتف (مباشر ٤٨٢٤٤٥٥) ٤٨٢٤٩٩٣ – ٤٨٢٤٩٨٣ – ٤٨٢٤٨٦٥ – مقابل حي السفارات من الشرق – المملكة العربية السعودية
P.O. Box 1798 - Riyadh 11441 - Tel. (Direct 4824455) 4824993 - 4824983 - 4824865 - Opposite Diplom. Quarter - Saudi Arabia



Abdullah Bin Mohammed Bin Khamis

عبدالله بن محمد بن خميس

التاريخ / / ١٤هـ الموافق / / ١٩م

فاللمؤلف تحية تقدير على ماقام به من جهد، وأضم صوتي الى صوته في دعوة كل من لديه أثارة من علم عن شعر ابن لعبون بأن ينشرها ليستفيد منها الجميع.

والله الموفق وهو حسبنا ،،،

عبدالله بن محمد بن خميس

ص.ب ١٧٩٨ – الرياض ١١٤٤١ – هاتف (مباشر ٤٨٢٤٤٥٥) ٤٨٢٤٩٩٣ – ٤٨٢٤٩٨٣ – ٤٨٢٤٨٦٥ – مقابل حي السفارات من الشرق – المملكة العربية السعودية
P.O. Box 1798 - Riyadh 11441 - Tel. (Direct 4824455) 4824993 - 4824983 - 4824865 - Opposite Diplom. Quarter - Saudi Arabia

المقدمة

الحمد لله الذي تفرد بالجلال والعظمة والكبرياء، والشكر لله شكر عبد معترف بالتقصير عن شكر بعض نعمائه وأفضاله، وأشهد أن لا إله إلا ألله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ووصحبه ومن والاه؛ وبعد:

كثيراً ما يفاجأ المهتم بشعر ابن لعبون والمعجب بشعره أو الباحث والدارس له بعدم وجود أية مصادر تلبي طلبه وتفي بغرضه، فعلى الرغم من شيوع صيت ابن لعبون وتكرر ذكره، وبشكل يكاد أن يكون متواصلاً في جميع أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة في الخليج والجزيرة العربية، نجد أن ماكتب عن ابن لعبون من معلومات يكتنفها الغموض فيما يتعلق بحياته ، ويميزها التناثر والتناقض فيما يتعلق بشعره. فالمراجع الأساس التي كتبت عن ابن لعبون تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة، ولم تكتب حسب الأصول العلمية للبحث وإنما كتبت جريًا على طريقة الرواة في سرد الأحداث والأشعار دونما تمحيص وتوثيق.

وللمؤلفين -جزاهم الله خيراً- العذر في ذلك لا سيما وأن مادتهم فيما كتبوه عن ابن لعبون كانت تعتمد أساسًا على ماتناقله الرواة، فلم يذكر أن ابن لعبون قد ترك شعراً مكتوبًا أو معلومات موثقة عن حياته وأسفاره وعلاقاته مع من حوله.

ولقد ظهر التناقض جليًّا فيما نشر عن حياة ابن لعبون خاصة فيما يتعلق بسنة ميلاده ومكان مسقط رأسه وسنة وفاته، حيث اختلفت المراجع في ذلك

أيما اختلاف، أما بالنسبة لشعر ابن لعبون فقد نسب شعر له لغيره وإن هناك بعض الاختلاف في رواياته، كما تجد لأبيات من قصيدة أو للقصيدة كلها أكثر من رواية ولأبياتها أكثر من تسلسل. وأن أبياتًا سقطت من هذا المرجع تجدها في ذلك المرجع وهذا حاصل عند معظمهم إن لم يكن جميع شعراء النبط.

إن طريقة كتابة الشعر تختلف تبعًا لسياسة المؤلف؛ فمنهم من يكتب الشعر النبطي أقرب إلى نطقه مضطراً إلى مخالفة أصول الرسم الإملائي مثل قلب القاف جيمًا أو الجيم يـــاءً، ودمج أكثر من كلمة وماشابه ذلك تبعًا للهجة الشاعر أو للهجة أبناء المنطقة، وممن نحا هذا المنحى خالد بن عبدالله الفرج وعبدالله خالد الحاتم وعبد اللطيف البابطين، ومن المؤلفين من يحاول كتابة الشعر بطريقة أقرب إلى العربية ومن أولئك عبدالله بن خميس وعدد من المعاصرين، ومن المؤلفين من يحاول مساعدة القارئ بتشكيل الكلمات، ومنهم من يتركها بلا تشكيل وحاول بعضهم شرح معاني الكلمات الغريبة أو العامية ومنهم من حاول ذكر مناسبة القصيدة والمكان الذي قيلت فيه.

ومما سبق تبين لنا أنه رغم مابذله بعض من كتب عن ابن لعبون وشعره من جهد لتحري الدقة والأمانة في كتابته إلاّ أنه وقع في بعض المحذورات التي حاولت تلافيها في هذه الدراسة، وتقديم صورة أوضح لشخصية ابن لعبون وجمعًا ونقلاً أشمل لشعره.

منهج البحث:

يقدم هذا الكتاب للباحث والمثقف - في محاولة غير مسبوقة- نبذة عن حياة «ابن لعبون» وأثره الأدبي مستقاة من مراجع نادرة ذكرتها عند كل معلومة. كما يجمع هذا الكتاب كل ما وقع تحت يدي من شعر نسب إلى «ابن لعبون» مطبوعًا أو مخطوطًا وأشرت عند كل قصيدة أو بيت مصدر ذلك، وعند تعدد روايات بيت أو قصيدة أذكر تلك الروايات ومصادرها، وتسهيلاً لقراءة

شعر «ابن لعبون» قمت بتشكيل كلماته متوخِّيًا بذلك الدقة قدر المستطاع، وحاولت ذكر مناسبة القصيدة كما وردت عند من سبقني مكتوبة أو مروية.

«أعذب الشعر أكذبه» تنطبق هذه المقولة على الشعر الفصيح، وقد قيلت فيه وهي تنطبق أيضًا على الشعر النبطي، وكثيراً مايبالغ الرواة في سرد حادثة أو طرفة تختلط فيها الحقيقة بالخيال. ولم يكن ابن لعبون بمنأى عن تلك المبالغات التي ربما بلغت حد الأساطير إعجابًا به أو بغضًا له، هذا ومع ذكري لمثل بعض تلك الروايات في هذه الدراسة إلاّ أن هذا لا يُعَد تصديقًا بها أو توثيقًا لها، والعهدة بذلك على من رواها.

إن هذا الكتاب محاولة جادة لإلقاء الضوء على ابن لعبون وشعره، وإنني على يقين أن هنالك الكثير والكثير من شعر «ابن لعبون» الذي لم يجد طريقه للنشر لأكثر من سبب. وإن مايدعونا لهذا القول أن ما أمكن جمعه من شعر ابن لعبون لا يتناسب مع ماوصل إليه ابن لعبون من شهرة، وأن ماوصلنا من شعره يقصر كثيراً عن تغطية كثير من جوانب حياته المفعمة بالنشاط السياسي والاجتماعي وأسفاره وتنقلاته وغرامياته، وإنني أنتهز هذه الفرصة لدعوة جميع من لديهم معلومات جديدة عن «ابن لعبون» أو قصيدة أو بيت من شعره لم يذكر في هذا الكتاب أن يوفرها لي أو ينشرها ليُطلع عليها المهتمين والباحثين، وقد سبق للمؤلف أن اقترح إقامة ندوة عن ابن لعبون وشعره، يشترك فيها أدباء وشعراء من نجد والزبير والكويت والبحرين. كما أرحب بأي نقد بناء وهادف لكل ماورد في هذا الكتاب أو أي اقتراح يساعد على إخراج طبعته الثانية بحلة أبهى ومعلومة أدق وأشمل وأكمل خدمة للأدب الشعبي في جزيرة العرب.

خطة الكتاب : قُسم الكتاب الى جزأين رئيسين:

الجزء الأول: مدخل لدراسة سيرة ابن لعبون وشعره، وهو الذي بين يديك وفيه فصول:

الفصل الأول: يتطرق لشعر النبط وصلته بالأدب العربي وتدوينه وطباعته

وتدوين شعر ابن لعبون وطباعته.

الفصل الثاني: يقدم استعراضًا لمن كتب عن ابن لعبون من المتقدمين وإخفاقهم في ذكر حقيقة سنة ميلاده ومكانه وسنة وفاته، وأثر ذلك عند اللاحقين .ويوضح هذا الفصل تثبيت نسب ابن لعبون المدلجي الوائلي والتأكيد أن سنة ميلاده هي ١٢٠٥ هـ وأن مسقط رأسه في ثادق من قرى المحمل، وأن سنة وفاته في الكويت عام ١٢٤٧ هـ، وفي هذا الفصل شيء عن نسبه، نشأته، صفاته، نوادره، عشقه، أسفاره، تنقلاته، علاقاته بمن حوله، ثقافته، معاناته وأثر ذلك في شعره وأخيراً وفاته.

الفصل الثالث: يحوي نبذة مختصرة عن الوضع العام سياسيّاً وثقافيّاً في سدير، وخاصة ماجرى في حرمة من أحداث تركت أثرها في حياة ابن لعبون والزبير والتنافس الذي حصل بين حمائله للاستئثار بالحكم وانعكاس ذلك في شعر ابن لعبون، وكذلك دور السلطة العثمانية في البصرة في مجريات الأحداث بالزبير وما قامت به قبائل بادية العراق وجنوبه من تأثير في أوضاع الزبير السياسيه والاقتصادية. ويتطرق الفصل لذكر ما للكويت من أثر في مجريات الأحداث بالزبير بشكل عام وأثر ذلك الكبير في حياة ابن لعبون بشكل خاص، وأخيراً دور البحرين في حياة ابن لعبون وشعره.

الفصل الرابع: يبرز أهمية ابن لعبون كعامل وحدة أدبية في المنطقة من خلاله ملكته الشعرية التي تجلّت في تهذيبه للمفردات، وتكيفه مع اللهجات، وضربه للأمثال، وسوقه للحكم، وإسهاماته لإثراء شعر النبط من خلال العديد من إبداعاته اللغوية والبلاغية والفنية.

الفصل الخامس: يضرب الأمثلة لأغراض الشعر عند ابن لعبون في النسيب والغزل والوصف والفخر والمديح والرثاء والشكوى والعتاب والهجاء ونقائضه مع الشاعر الكبير عبد الله بن ربيعة، وأخيراً توبته.

الفصل السادس: يلفت الانتباه لبراعة ابن لعبون الأدبية، ويسوق أمثلة على أشعار ابن لعبون التي تقرأ بالفصحى كما تقرأ بالعامية، وبلاغته الأدبية ورباعياته (المروبع) وأمثلة لتوافق معاني بعض أشعاره مع ماجاء في شعر فحول الشعر العربي كالمعري والدارمي والمتنبي والفرزدق وزهير بن أبي سلمى وجميل بثينة ولبيد بن ربيعة وغيرهم، وتوافق كلماته مع كلمات امرئ القيس والمتنبي ومحسن الهزاني وغيرهم. وفي هذا الفصل تساؤل عن توافق معاني وكلمات ابن لعبون مع السابقين له واللاحقين عليه كشوقي والسياب هل هو من باب توارد الخواطر أم غير ذلك؟

وفي هذا الفصل أيضًا ذكر للتكرار عند ابن لعبون وكناياته واستدراكاته الأدبية على امرئ القيس ولفتاته الذهنية التي لم يسبق لها وتضميناته البلاغية واستشهاداته الخفية وبديع اللغة، وأمثلة على مقدرته الشعرية بنظم القصائد ذات الوزنين والأربعة قوافي التي تعرف بذوات القوافي أو التشريع، وكذلك القصائد التي لا نقاط فيها وتسمى المهملات.

الفصل السابع: ويتناول الحس الجغرافي ممثلاً في ذكره للمواقع ووصفها وكذلك ذكره للأسماء سواءً من تعلق بها قلبه أو غيرها من أشخاص تركوا لهم في حياته أثر، ومثال ذلك مي أو هيله وأسماء أخرى مثل ضاحي العون وابنه أحمد والسديري وابن ربيعة وغيرهم، وكذلك من وردت أسماؤهم مكناة، وذكره أسماء عدد من الأنبياء- عليهم السلام -وكذلك الملائكة.

الفصل الثامن : ويقدم استعراضًا لرأي الشعراء والأدباء في ابن لعبون وتقليدهم إياه ألقابًا منها متنبي شعر النبط وأمير شعراء النبط.

الجزء الثاني: سيصدر قريبًا بإذن الله ويشتمل على كل ما أمكن جمعه من شعر ابن لعبون مما تناثر فيما طبع من دواوين أو نقل من أفواه الرواة، وقد قمت بتبويب الديوان حسب مناسبات القصائد. وقد شرحت مايلزم شرحه من

غريب الكلمات واجتهدت في تشكيلها وذكر ما اختلف في روايته من شعره مع ذكر المراجع. وتسهيلاً لمهمة القارئ والباحث قمت بفهرسة قصائد ابن لعبون طبقًا لأول بيت ورد في القصيدة كما هو متبع عند من سبقنا في طباعة شعر النبط مع ذكر عدد أبيات القصيدة ورقم الصفحة، وقد تم اعتماد مصدر لكل قصيدة، وعند ورود بيت أو أبيات لم تذكر في المصدر تضاف إلى القصيدة في مكانها المناسب مع ذكر مصدر هذا البيت أو الأبيات. وقد طبع الشعر في الصفحات الفردية وتركت الصفحات الزوجية لمصادر القصيدة ومن وردت عنده ومناسبتها وشرح مفرداتها والروايات الأخرى لأبياتها، ولعل في هذه الطريقة، غير المسبوقة، تسهيلاً على القارئ ليقرأ القصيدة بتسلسل في صفحة وعند الحاجة لشروحات أو معلومات أخرى يرجع إلى الصفحة المقابلة.

وختامًا؛ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمد شاعرنا محمد بن حمد بن لعبون بواسع رحمته ويتجاوز عنه، وأن يجزيه بالحسنات إحسانًا وبالسيئات صفحًا وغفرانًا ولوالديه وعموم المسلمين.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الرياض غـــرة صفـــر ١٤١٦هـ　　　　　　　　المــــؤلف

د. عبد العزيز بن عبدالله بن لعبون

شكر وتقدير.

لا يملك المطلع على شعر ابن لعبون أو الدارس والباحث له إلاّ أن يسدي شكره وتقديره لأولئك الأوائل الذين حفظوا لنا هذا الشعر، وتناقلوه جيلاً بعد جيل مرويّاً كان أو مخطوطاً، كما يسدي الشكر والتقدير إلى الذين تجشموا عناء جمع ذلك الشعر وطبعه، ويخص منهم خالد بن محمد الفرج وعبدالله بن خالد الحاتم، رحمهما الله وغفر لهما.

ويتقدم المؤلف بشكره وتقديره إلى كل المعاصرين المهتمين بشعر ابن لعبون، ويطلب منهم المحافظة عليه وتناقله ليبقى أثراً شاهداً على تراث هذه الأمة الأدبي في فترة حرجة من تاريخها. فإلى جميع أولئك جزيل الشكر والتقدير، ونخص منهم عبداللطيف وعبد العزيز أبناء سعود البابطين لما لهم من باعٍ طولى في المحافظة على شعر ابن لعبون؛ فالأول قام منذ مايقارب نصف قرن بجمع شعر ابن لعبون وخطه بيمينه في مجلد ضخم حوى عيون الشعر النبطي، والثاني ماترك مناسبة إعلامية صحافية أو إذاعية أو مرئية إلاّ وجدد فيها ذكر الشاعر ابن لعبون. ومن الذين يخصون بالشكر والتقدير أيضًا الأديب الكبير عبدالله بن محمد بن خميس والأديب عبدالمحسن بن عثمان أبابطين والأديب يحيى الربيعان، وإلى كل من كتب أو روى أو نقل شعر ابن لعبون.

ويتقدم المصنف إلى الشيخ عبدالله بن محمد الفاخري بالشكر والتقدير لتوفيره عدد من الأبيات بل والقصائد التي لم تذكر عند غيره، أطال الله عمره وجزاه خيراً.

وجزيل الشكر والتقدير إلى كل الذين اطلعوا على مسوّدة هذا الكتاب، وأبدوا نقدهم وملاحظاتهم ومرئياتهم عليه وبالأخص الشيخ الشاعر إبراهيم بن ناصر المدلج، والشاعر الشاب فواز بن عبد العزيز اللعبون، والأستاذ ناصر بن محمد الصعب والأستاذ ادريس بن عبد الله الدريس، والأخ سليمان الحديثي، والراوية محمد بن علي الشرهان.

الفصل الأول

شعر النبط تدوينه وطباعته

شعر النبط.

يطلق على الشعر الشعبي تسميات عديدة منها الشعر النبطي ولم يعرف بالتسمية الأخيرة إلاّ حديثًا فلم تأت هذه التسمية عند ابن خلدون الذي أشار إلى أن «أهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه ألحانًا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم يغنون به ويسمون الغناء به باسم الحوارني نسبة إلى حوران من أطراف العراق والشام»[1].

ولما كان العامة بشكل عام يجدون صعوبة في تذوق الشعر الفصيح البليغ وفهمه، فقد قيض الله لهم من يعوضهم عن ذلك بشعر بسيط سلس يفهمونه ويتذوقونه وينبع من معيشتهم اليومية بأفراحها وأتراحها، ولو لم يكن لشعراء النبط غير هذه الميزة لكفتهم، ولو لم يكن إلاّ السواد الأعظم السند لأولئك الشعراء لكفاهم.

أما كيف أطلق أهل المنطقة على هذا النوع من الشعر «الشعر النبطي» فربما لأن أصول هذا الشعر وفدت إلى نجد من أطراف العراق والشام حيث يطلق على الفلاحين اسم الأنباط لاستنباطهم الماء من الأرض، وربما كان هؤلاء هم أول من ابتدع هذا الفن وبذا نسب إليهم.

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٨٣.

الأدب العـربي والشعر النبطي :

يرى الأديب خالد بن محمد الفرج[1] أن دراسة الأدب العربي وتاريخه وتطوراته تبدأ بدراسة الأدب العامي في نجد، لأن هذا الأدب في وقتنا الحاضر هو صورة صادقة على ماكان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي، وقد علل ابن فرج رأيه هذا بقوله: «لأن الوضع في نجد لا يزال كما كان عليه في عصر الجاهلية فالشعراء في الغالب أميون والبدو منهم لم يتغيروا عما كان عليه أجدادهم الأولون فأساليب المعيشة والقتال ودواعي الفخر والنسيب وغير ذلك باقية لم تتغير عما كانت عليه في الزمن الأول ولولا جهلهم بالآداب العربية الأولى لزعمنا أنهم سرقوا معاني الأولين ونظموها فقد كادوا ينطقون بألسنتهم وينسجون على منوالهم»[2] .

وإذا اتفقنا مع ابن فرج على نصف رأيه بأن الوضع في نجد آنذاك يشبه من حيث العادات وأساليب الحياة ماكان في أيام الجاهلية إلاّ أننا لانوافقه في النصف الآخر من رأيه في أن الشعراء يجهلون الآداب العربية الأولى لأن ذلك غير صحيح، وخير مثال يخالف ذلك من نحن بصدد الحديث عنه وهو ابن لعبون، فابن لعبون ملمّ بآداب العربية مطلع على فنونها قرأ شعر الأقدمين وحاكاهم نفسًا وحِكمًا وصياغة ولفظًا وبلاغة وجزالةً وعذوبة.

ولابد لنا من القول إن الصلة مازالت قوية بين الشعر النبطي والشعر الفصيح فأصل ذاك من هذا ولدينا من شعر ابن لعبون على ذلك أكثر من دليل وجزى الله الأديب عبد الله بن خميس خيراً في مبادرته بدراسة هذه العلاقة وتأليفه في ذلك سفراً بعنوان «رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصله الفصيح».

---

(١)،(٢) خالد بن محمد الفرج، ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد، ص ٤.

تدوين شعر النبط.

ظل شعر النبط تتناقله الألسن جيلاً بعد جيل تحفظه صدور الرواة، فقد عرف أن صدور رجالات هذه الأمة هي سجلاتها. ومع مرور الزمن كان هذا الشعر عرضة للنسيان أحيانًا أو التحوير أو التحريف أحيانًا أخرى، وربما نُحِل شعر لغير قائله وربما استبدل المدح ذمّا والثناء قَدحًا، وذلك تبعًا لدقة نقل وحفظ وقوة ذاكرة الراوي وأمانته، لذا تعددت روايات الشعر وظهرت الاختلافات بين ديوان وآخر، وعليه كان لابد من وقفة بل وقفات للتأكد من نسبة الشعر لقائله أولاً وأنه دوّن كما قاله ثانيًا.

وحول تدوين الشعر النبطي يذكر خالد بن محمد الفرج أن هذا الشعر«لم يدون إلا في أواخر القرن الماضي، فجمعت منه دواوين كثيرة، وتخصص بعض النساخ لنسخه والارتزاق بما يبيعونه منها ويسمونها دواوين»[١].

ومن أشهر من قام بتدوين الشعر النبطي من أفواه رواته ابن محمد بن عبد الرحمن بن يحيى المتوفى في ١٩١٤هـ ، الذي هيأت له ظروف عمله لدى ...؟

وهكذا؛ فقد بقي شعر النبط في جزيرة العرب مرويّا ومخطوطًا حتى قيض الله له من اهتم بجمعه وترتيبه وطبعه، وكانت الريادة في ذلك للأديب خالد بن محمد الفرج ثم تلاه عبد الله بن خالد الحاتم[٢]، رحمهما الله، وتبعهما عدد من الأدباء والمهتمين بهذا الشعر الذي بدأ يأخذ طريقه إلى المطابع.

طباعته.

يذكر خالد بن محمد الفرج أن أول ماطبع من الشعر النبطي ديوان صغير للمرحوم الشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر وذلك سنة ١٣٢٨هـ وفي العالم التالي (١٣٢٩هـ) طبع ديوان عبدالله الفرج، وطبع أيضًا ديوان الشيخ محمد بن بليهد، وقد كان لخالد بن محمد الفرج والشيخ عبدالله بن سليمان وزير المالية

(١) خالد بن محمد الفرج، المصدر السابق ص ١٠.
(٢) عبد الله بن خالد الحاتم (خيار مايلتقط . من الشعر النبط) .

في عهـد الملك عبد العزيز-طيب الله ثراه- دور كبير في جمع مئات القصائد لحميدان الشويعر ومحمد بن لعبون وعبد الله بن ربيعة وعبدالله بن سبيل طبعت ضمن الجزء الأول من كتاب «ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد» وضم الجزء الثاني أشعاراً لمحسن الهزاني ومحمد القاضي ومحمد العرفج ومحمد العوني، وقد اجتهد ابن فرج في تحري الصحيح من الأشعار وإثباته في أول ديوان من نوعه يطبع في شعر النبط في مجلدين، وكان ذلك في عام ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) وطبع في مطبعة الترقي في دمشق وأعيد طبع الديوان بجزأيه في مجلد واحد في المطبعة العربية في القاهرة، ولم تذكر سنة الطباعة وقامت المكتبة الأهلية بالرياض بتوزيعه.

ثم قام الأديب عبدالله بن خالد الحاتم بطباعة مجموعة من الشعر النبطي لعدد كبير من الشعراء ضمنها مؤلفه «خيار مايلتقط من شعر النبط» الذي طبعت طبعته الثانية بجزأيه في دمشق في المطبعة العمومية عام١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

وَيُعَدُّ ماقام به ابن خالد بن محمد الفرج وعبدالله بن خالد ابن حاتم المرجع الأساس لما نشر مطبوعًا عن شعراء النبط في المنطقة وشعرهم.

تدوين شعر ابن لعبون وطباعته.

من المؤسف أن أيًّا من المهتمين بشعر ابن لعبون لم يذكر أنه اطلع على شعره بخط يده، إلاّ أن كثيراً منهم قد دوّنوا ماسمعوا وحفظوا من شعر النبط عمومًا، واحتفظوا بما كتبوه بعيداً عن متناول الدارسين والمهتمين، وبذا أصبحت تلك الدواوين عرضة للتلف والضياع. ومن أجمل مخطوطات الشعر النبطي ما اطلعت عليه في صغري وهو مجلد ضخم صفحاته مسطرة ومحاطة بإطار ملون بخطين أحمر وأزرق ومرتب ومكتوب بخط جميل لابن العمة، عبداللطيف بن

سعود البابطين أسماه «طرائف الكلام في شعر العوام» وقد فرغ من جمعه وخطه في ١٣٦٨هـ /١٩٤٨م. وتكمن أهمية هذا المخطوط في أن جامعه قد أنجزه قبل نصف قرن تقريبًا في وقت كان فيه من رواة شعر ابن لعبون أكثر مما هم عليه في وقتنا الحاضر وأقل انشغالاً بهموم الحياة. وقد أخذ الجامع شعر ابن لعبون مشافهة من كبار السن والمهتمين به والحافظين له، وقد امتاز ما ورد في «طرائف الكلام» بتدوينه لعشر قصائد لابن لعبون لم تنشر من قبل.

لقد كان لشعر ابن لعبون النصيب الأوفى والاهتمام الأكبر فيما جمعه خالد بن محمد الفرج وعبدالله بن خالد الحاتم، هذا وقد قامت مكتبة المعارف لصاحبها محمد سعيد كمال بالطائف بنشر سلسلة من دواوين شعر النبط ضمن سلسلة «الأزهار النادية من أشعار البادية» كان الجزء العاشر منها «يشتمل على شعر فارس هذا الميدان ونابغة العصر والزمان الشاعر الكبير محمد بن لعبون». وهذا الديوان هو نسخة مما جمعه خالد بن محمد الفرج، ولم يأت الناشر على ذكر اسم الجامع أو الإشارة إليه ولا سنة طبع الديوان.

وقام يحيى الربيعان في عام ١٩٨٢م بنشر كتاب بعنوان «ابن لعبون حياته وشعره» ويتميز هذا الكتاب عما سبقه من دواوين بجمعه لبعض ماتناثر من شعر ابن لعبون في الدواوين المطبوعة مثل «الملتقطات» ليوسف بن عيسى القناعي و «التحفة الرشيدية» لمسعود بن مسند بن سيحان، حيث بوّب شعر ابن لعبون إلى مقدمة ذكر فيها نبذة عن حياة الشاعر وقع فيها بأخطاء من سبقه وخاصة حول سنة ميلاده ومسقط رأسه، وانتقى من شعر ابن لعبون ما سار مثلاً أو استعان به من أمثال، وأورد نقائضه مع عبد الله بن ربيعة وماجاء في شعره من مدح وهجاء وغزل وذكريات وحكم وأمثال ورثاء.

مع أن يحيى الربيعان ذكر عدداً من المصادر في آخر كتابه «ابن لعبون حياته وشعره» إلاّ أنه اعتمد أساسًا على ماجمعه ورتبه وفسر بعض ألفاظه خالد الفرج «ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد».

أورد الربيعان قصيدة طويلة تتكون من ستين بيتًا ، وهي أطول مافي ديوان ابن لعبون قد وجدت هذه القصيدة بأكملها عند صاحب «طرائف الكلام في شعر العوام»، وقصيدة ثانية تتكون من واحد وخمسين بيتًا وجدتها عند صاحب «طرائف الكلام في شعر العوام» وزادت فيه إلى اثنين وخمسين بيتًا.

أما القصيدة الثالثة فتتألف من اثنين وعشرين بيتًا ، وقد أورد صاحب «طرائف الكلام في شعر العوام» هذه القصيدة بعدد الأبيات نفسها.

كما هو الحال في الشعر الفصيح يتعرض الشعر النبطي للانتحال، ولا نقصد هنا انتحال شاعر لشعر غيره وإنما مايَنحِلهُ الرواة من شعر لغير قائله، وفي معظم الأحيان يكون بغير قصد ومن أسباب ذلك كثرة الرواة والاختلاف في الروايات وتشابه نفس الشعراء ومعانيهم وأغراضهم، ولم يسلم شاعرنا ابن لعبون من الانتحال فقد نسب العديد من قصائده لغيره، إلاّ أن المتفحص لشعر ابن لعبون والدارس له يستطيع أن يعرف شعره من شعر سواه، وهذا ما استدركه كثير من الباحثين وأعادوا نسبة شعر ابن لعبون له. ومما لاشك فيه أن ابن لعبون قد صاغ الكثير من القصائد ولم يصلنا منها إلاّ النذر اليسير، وهذا مايعزز القول إن هنالك الكثير من قصائده نحلت لغيره وهذه مسئولية الشعراء والأدباء في التحقق من ذلك.

أهم إسهامات الربيعان إعادته لنسبة قصيدة تتألف من أربعين بيتًا إلى «ابن لعبون» كانت قد وردت في التحفة الرشيدية منسوبة إلى الشاعر عبدالمحسن الطبطبائي، وقد أصاب ابن ربيعان في ذلك، فقد وجدت القصيدة عند صاحب «طرائف الكلام في شعر العوام» منسوبة للشاعر ابن لعبون.

والقصيدة تتكون من اثنين وخمسين بيتًا ، ومطلعها:

أرى الدار ماتوفي بماضي وعودها

ولاعادها اللي كان فيها يعودها

بالإضافة إلى اختلاف روايات عدد من أبيات شعر ابن لعبون يختلف أيضًا ترتيب أبيات عدد من قصائده، وربما تسبب استقلال معاني أبيات القصيدة في إتاحة المجال أمام الرواة لتقديم أبيات وتأخير أخرى.

الفصل الثاني

ابن لعبون . . . حياته

أخفقت المراجع الرئيسة التي كتبت عن «ابن لعبون» في تحديد سنة ولادة الشاعر ابن لعبون ومكان ولادته وأيضًا سنة وفاته. فقد ذكر خالد بن محمد الفرج صاحب «ديوان النبط» عند ترجمته حياة ابن لعبون ما نصه :«ولد شاعرنا في حَرْمَة (ولا نعرف سنة ميلاده) »[١]. وفي سياق الحديث عن ابن لعبون حدد سنة وفاته بعام ١٢٤٧هـ، وذكر أن ابن لعبون «بلغ ستًا وأربعين سنة»[١] وبذلك تكون سنة ميلاده حسب هذه المعلومات هي سنة ١٢٠١هـ وهذا ليس بصحيح فهذه ليست سنة ميلاده وليست حَرْمَة بمسقط رأسه، أما عبد الله ابن خالد الحاتم صاحب «أخبار مايلتقط من شعر النبط» فقد أشار إلى أن «الشاعر الكبير النابغة محمد بن لعبون المدلجي الوائلي المولود سنة ١٢٠٠هـ في تويم من نجد»[٢]وهذا الآخر جانبه الصواب أيضًا فلا السنة سنة ميلاده وليست التويم مسقط رأسه.

وعندما قام صاحب دار المعارف محمد سعيد كمال بإفراد شعر ابن لعبون في ديوان واحد ضمن سلسلة «الأزهار النادية من أشعار البادية»[٣] نقل ما أورده خالد بن محمد الفرج في كتابه «ديوان النبط» نصًا ودونما ذكر للمصنف، وبذا كرر خطأ ابن فرج فيما يتعلق بسنة ميلاد ابن لعبون ومسقط رأسه. ووقع يحيى الربيعان صاحب كتاب «ابن لعبون حياته وشعره»[٤]،

(١) خالد الفرج، المصدر السابق ص ٨٠- ٨٢.. (٢) عبد الله الحاتم، المصدر السابق ص ٢٥٦.
(٣) محمد سعيد كمال، المصدر السابق ص ٣ (٤) يحيى الربيعان، المصدر السابق، ص ٩.

المطبوع سنة ١٩٨٢م في الخطأ نفسه الذي وقع فيه ابن فرج وكرره صاحب الأزهار النادية.

ويتكرر الخطأ عند عبد المحسن بن عثمان أبابطين صاحب «المجموعة البهية من الأشعار النبطية» المطبوع عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م فقد ذكر أن ابن لعبون «ولد في إقليم سدير ونشأ فيه وتعلم القرآن وكان مولده سنة ١٢٠٠هـ وتوفي في الكويت في سنة ١٢٤٦هـ»[1]، لم يحدد المؤلف في أية قرية من قرى سدير ولد ابن لعبون كما أن سنة ميلاده ليست عام ١٢٠٠هـ ، وكما أن سنة وفاته ليست عام ١٢٤٦هـ .

وذكر عبد اللطيف بن سعود البابطين صاحب «طرائف الكلام في شعر العوام» أن ابن لعبون «ولد في بلدة (حرمة) من مقاطعة سدير» وحرمة ليست مسقط رأسه، ولم يأت على ذكر سنة ميلاده إلاّ أنه ذكر وفاته بالكويت سنة ١٢٤٧هـ.

وعندما كتب، وكثيراً مايكتب، الأديب عبد الله بن خميس عن ابن لعبون لا يذكر سنة ميلاده ويكتفي بذكر أنه من مواليد حرمة من مقاطعة سدير[2]، وكما ذكرنا أن حرمة ليست مسقط رأسه.

مولـــده.

إن جميع من استعان بالمصادر الرئيسة المذكوة أعلاه فيما يتعلق بترجمة ابن لعبون وخاصة في تحديد سنة ولادته أو مكان مسقط رأسه أو وفاته قد وقع فيما وقعوا فيه من أخطأ.

أما القول الفصل في هذا الموضوع فنتركه لوالده نسابة نجد ومؤرخها

---

(١) عبد المحسن البابطين، المجموعة البهية للأشعار النبطية، ص ١١٧.

(٢) عبد الله بن خميس، الأدب الشعبي في جزيرة العرب ص ٩٢.

الشيخ حمد بن محمد بن لعبون حيث يقول عن ابنه : «وفيها- اي سنة ١٢٠٥- ولد الابن محمد بن حمد في ربيع الثاني»[١] .من المعروف ن آل لعبون من أهل التويم وحرمه وهذا ماجعل من كتب عن الشاعر ابن لعبون نسبته إلى إحدى البلدتين ولكنه ولد في ثادق اثناء إقامة عائلته فيها بعد إنتقالها من حرمه بسبب أحداث سنة ١١٩١ هـ وسنتطرق الى ذلك في الفصل الثالث.

نســـبه.

هو محمد بن حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان (الملقب لعبون) بن ناصر ابن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي[٢].

نشــأته.

ولد ابن لعبون في ثادق وبها ترعرع ودرس وتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ونشأ في بيت علم وأدب وقد تهيأت للشاعر محمد الفرصة للاطلاع على أمهات الكتب في التاريخ والأدب التي تزخر بها مكتبة والده الشيخ حمد بن محمد بن لعبون.

فقد ورد أنه جاء أباه في يوم من الأيام فقال له: يا أبتِ لقد رأيت البارحة في المنام أنني أشرب بحراً. فـفسر له أبوه ذلك الحلم بأنه إما علم واسع أو شعر غزير فكان الأخير[٣].

وكان ابن لعبون منذ نعومة أظفاره يقرض الشعر، وكان الشيخ حمد بن لعبون يأخذ ابنه محمد وهو صغير إلى مجالس أمراء آل سعود للسلام عليهم وقد مدحهم بقصائد لم يصلنا منها سوى هذا البيت[٤]:

(١) عبد بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، جـ ص ٢٣٧.

(٢) حمد بن لعبون ، بنو وائل ونسب آل مدلج، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب ج ٧و٨ س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

(٣)(٤) نقلاً عن العم ناصر بن حمد اللعبون، المتوفى بالرياض عام ١٤٠٤هـ عن عمر ناهز المئة عام، رحمه الله.

صغيـرهم يربى على الشيب بالطيب

لـو كـان طفل يحـمل فـوق الاكـتـاف

و يذكر أن ابن لعبون حين خروجه من ثادق مهاجراً إلى الزبير قالت امرأة مشيرة إليه «هذا ابو قذيلة اللي يقصد؟» (أي يقول الشعر) فأجابها مرتجلاً بقوله:

أبو قــــذيلـه مــــاوقف عـند بـابك

لا فـــصخ واحـــد من ثـيـــابك

أنتِ حـــصـــاة الـدرب كل وطـابك

حـــتى الاجـــانـب يدلـون بابـك

وما أن سمعت ذلك الهجاء منه حتى بادرت لإرضائه تريد العافية(١).

صفاتــه.

ابن لعبـون ،رحمه الله ،حسن الطلعة جميل الصوت، وذكر أبوه الشيخ حمد ابن لعبون أن الشاعـر محمد كان فائق الخط ويحفظ القرآن تكلم في الشعر في صغره وكان، رحمه الله، ذكيًا فطنًا حسن البديهة .

نــــوادره.

اتصف ابن لعبون بالذكاء وحسن البديهة وارتجال الشعر، ومما يستشهد به على ذكـائه القصـة التي تروى عنه حيث رغب أصـدقاء له في حضور مـجلس أنس وطرب ولكنهم لا يريدون أن يعرف المكان فدعـوه للحضـور شـريطة أن يغمضوا عـينيه حتى لا يستدل على المجلس فـوافق ابن لعبون ومضى معهم إلى المكان معصـوب العينين، ولما وصلوا رفعوا الغطاء عن وجهـه فـسمروا وفي آخر الليل أغـمضوا وعـادوا به، وهكذا ظن أصدقاء ابن لعبـون أنهم طربوا مـعـه دون أن يعـرف مـكانهم. وفي الليله التـاليـة فـاجأ ابن لعـبـون الجـمـيع

(١) نقلاً عن العم ناصر بن حمد اللعبون.

بحضوره إلى المكان فعجبوا أشد العجب وعرفوا أن ابن لعبون قد ملأ جيبه حبوبًا وخرق خرقًا صغيراً في الجيب تتساقط منه الحبوب على طريق سيره إلى المكان، وفي الصباح تتبع الحب فاستدل عليهم.

عشقه.

يشير شعر ابن لعبون وما تواتر من أخباره أنه أحب وغدا حبه حديث الناس ومصدر إلهام لقصائده غزلاً ووصفًا وشوقًا ومعاناة. ظل ابن لعبون وفيًّا لحبيبته التي اختار لها اسمًا مستعاراً وهو «مي»، وقد اختاره لمطابقة مجموع أرقام حروفه الأبجدية مع أرقام حروف اسمها الأصلي الذي يروى أنه هيله فكلاهما خمسون[1]. وكما ارتبط اسم عدد من الشعراء باسم من أحبوا ككثّير بعزة وجميل ببثنية وعنترة بعبلة وقيس بليلى وغيرهم اقترن اسم ابن لعبون بمي، وإن كان هذا الاسم مستعاراً إلا أنه تكرر في معظم قصائد ابن لعبون الغزلية. ومن ذلك قوله:

يقولون جور الحب يا مي هين

وحبك لجا بي لاجي بالضماير

ظل ابن لعبون يردد اسم ميّ مابقي له أمل بوصالها. فقد كانت حليلة لأحد مشائخ المنتفق، وبعد وفاته خطبها ابن لعبون فرفض أهلها تزويجها له فتزوجها أحد أمراء العرب المتغلبين على بلد ديلم في إيران[2]. وعندما طفح الكيل به ويئس ابن لعبون منها بث لواعجه في قصيدة مؤثرة اختلطت فيها أبيات اللوعة لزواجها والهجاء لزوجها والدعاء على ديلم بالنيازك تدكها،

---

(١) استعان الأدباء والمؤرخون العرب بحساب الجمل اعتماداً على ترتيب حروف الهجاء وإعطاء كل حرف رقمًا حسب ترتيبه كالآتي:الأفراد أبجد هوز حطي: ا=١، ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ=٥، و=٦، ز=٧، ح=٨، ط=٩، ي=١٠، العقود كلمن سعفص: ك=٢٠، ل=٣٠، م=٤٠، ن=٥٠، س=٦٠، ع=٧٠، ف=٨٠، ص=٩٠، المئات قرشت ثخذ ضظغ :ق=١٠٠، ر=٢٠٠، ش=٣٠٠، ت=٤٠٠، ث=٥٠٠،خ=٦٠٠، ذ=٧٠٠، ض=٨٠٠، ظ=٩٠٠،غ=١٠٠٠. ومنه لما كان مجموع اسم هيله ٥٠ فقد اختار ابن لعبون لها اسمًا مستعاراً مجموعه ٥٠ وكان هذا الاسم هو مي.

(٢) خالد الفرج حياته وآثاره، خالد سعود الزيد ، ص ١٩٨ - ١٩٠.

واختتم القصيدة بتصريح ابن لعبون باسم حبيبته بقوله:

والـلـه لـولا الـحـيـا واللـوم

لاصـيـح واقـول ياهيـلـه

وهيله هذه هي هيله الموسى؟ [1]

وعلى قدم حب ابن لعبون لميّ يقول:

يامـيّ لي بـك من قـديم مـوده

وصل الى انـحلت جـمـيع الـمـراير

ولا صفاء لعيش بعد ميّ ولا بديل لها:

فيا ميّ صفو العيش ماطاب عقبكم

وقلب سلا ما اعـتاض عنكم بالابدال

وفاء ما بعده وفـاء:

قـالوا بداله حظ لك ! قلت شـاحط؟

إن فـاتني فـوصـال غـيـره بلاشي

ويعاهد ميّ في رباعية رائعة:

فـيـهم فـشـت بيـن الـعـوالم عـلامي

واخـفـت عـلامـات الـمـتـركى عـلامي

قـالوا عـلامك قلت انا لي عـلى مي

عـهـد بمن نجى ليـونس من الحـوت

مـا اتـبع هوى غـيـره زريف ولا أرضى

ياطالمـا داسـه حـبـيـبي ولا ارضى

لا بـالزعـل نـخلـف هـواها ولا ارضـى

مـابـارح اللاهوت يـوم بنـاسـوت

---

(١) عبد اللطيف البابطين، ص ٢٥.

وحتى بعد وفاته ودفنه يبقى حب مي في قلبه، ولأن أهلها نازلين شرقي الزبير فإن جثمانه يتوجه نحوها:

فلو يمموني بأسفل اللحد قبله

جوني لقوني يمّة الشرق داير

ويقترن اسم ابن لعبون بأمثاله من شعراء النبط الذين أحبوا ولم ينالوا ماتمنوا ويصوغ الشاعر سليم ابن عبدالحي ذلك بقوله:

وين محسن وين عبدالله الفرج

وين ابن لعبون بيطار المثيل

شوف ويش سوّا لهم غض الشباب

كل منهم مات مغلول عليل

بقي أن نقول وحتى عندما تغزّل ابن لعبون بغير ميّ في أبيات قليلة لم تفض قريحته شوقًا ولوعة كذكره مي. وحتى عند تغزله بغير مي يذكرها، ومن ذلك مناجاته لسلمى حيث يقول:

الى عاد صبحك مستحيل ومظلم

فانا قول ياسلمى هوى ميّ اولى لي

أسفاره وتنقلاته.

لم يستقر بابن لعبون القرار في بلد معين فما أن بلغ السابعة عشرة حتى ترك ثادق مسقط رأسه في المحمل من نجد في تنقل وترحال إما رغبة منه أو رغمًا عنه. ففي هذه السن المبكرة هاجر إلى الزبير، ومنها نفي إلى الكويت ثم سافر إلى البحرين، ومنها هرب عائداً إلى الكويت حيث أمضى بقية حياته

وفيها مات. وقد ورد في شعره ذكر للقطيف مما يشير إلى أنه ذهب إليها وإلى الأحساء. كما ذكر أنه ذهب إلى الهند لزيارة ابن عمه ضاحي بن عون في مدينة بومباي. ومما يؤسف له أنه لم يردنا ممايلقي الضوء على سيرة ابن لعبون وتنقلاته في هذه البلدان إلاّ النذر اليسير.

إن هذه الأسفار والتنقلات وما واكبها وتخللها من ظروف وأحداث أكسبت ابن لعبون ميزة يكاد ينفرد بها عمن سواه من الشعراء، ولا نقصد بها ميزة السفر والترحال بل ميزة ما اكتسبه منها من خبرة انعكست متانةً في شعره وصقلاً لشخصيته واعتداداً بنفسه، لقد وفر السفر للشاعر ابن لعبون الفرصة للتعايش والتكيف مع بيئات تختلف إلى حدٍّ ما في لهجاتها وعاداتها ومبادئها مع ما ألفه في مجتمع نجدي ولد فيه وترعرع.

انطلق ابن لعبون من مجتمع نجدي في قلب جزيرة العرب إلى مجتمع نجدي آخر في الزبير أكثر انفتاحًا وتأثراً بالساحل وجنوب العراق وسافر إلى مجتمعات أكثر بعداً عن مجتمعات نجد والزبير، فقد سافر إلى البحرين والهند ووجد في مجتمع الكويت وسطًا بين هذه وتلك فاستقر بها ليقضي أواخر أيامه.

الحنين إلى نجد.

خرج ابن لعبون من نجد وظل قلبه معلقًا بها ونظم في ذلك شعراً بثه حنينه لأهله وشوقه لديارهم ودعاءه لبلده ثادق وسكانها بالخير العميم والغيوم المرناة ومن ذلك قوله:

فَيـا نَادِبِي سِرْ فِي قـرَاهَا وَمَسْنَدِي

إلـى حَيْ بَيـنَ اطـلاَلْ نَجْدٍ جُثُومَهَا

إلـىَ سِرْتـهـا مِنْ دَارِ مِيٍّ وَغَرّبتْ

ونَابَاكْ مِنْ طُفـاحْ نَجْدٍ خُشُومَهَا

اوّلْ مَوارى دَاراهُمْ لكْ جَلاَلَـــــــهْ

حَاشَا إلالـــهْ وَبَاقى الـــدَّارْ زُومَهَا

علْمى بهُـمْ فَـطْنٍ عَـلَـىَ جـَوْ ثَـادقْ

سَقَـــــاهَا مزَنَّاتَ الْغَوادى رُكُومَهَا

مَرَابـيـع لــذَّاتى وَغَايَاتْ مَطـــلْبى

وَمَخْصُوصْ رَاحـــاتى بَهَا في عُمُومهَا

ألاَ ياخَبِيـــرٍ بَالْمَصَـــاديرْ حُنَّهَــــا

وَسرْهَا أمَامَ الـدَّارْ تَلْقَى عُلُومَهَـــــا

إلــىَ جِيــتْ فِى وَادى سدَيـرٍ فَخَلَّهَا

تَذُبَّ الْعَفَــا مــاَفَوقَهَـــا الاّ وَسُومَهَا

إلىَ لاَحْ بَرْقٍ منْ حَيَـــا نَجـــدْ حَنَّتْ

منْ الْوَجـــــدْ حَنَّهْ وَالدَيـنٍ رُحُومَهَا

علاقاتــــه.

ساعدت عبقرية ابن لعبون الشعرية وشخصيته المرحة الطربه في توطيد علاقاته مع كثير من وجهاء وأعيان نجد والزبير والعراق والكويت والأحساء والبحرين وقطر. وورد في شعره ذكر كبار شخصيات عصره وفي صغره مدح آل سعود ومنهم عمر بن سعود بن عبد العزيز بقصائد كثيرة ومدح الشيخ عبد الله الجابر الصباح والشيخ ضاحي بن عون وابنه أحمد والأمير أحمد السديري. وكان له علاقات ومراسلات مع عدد من وجهاء المنطقة كالحاج يوسف اليعقوب البدر في الكويت[١]، وشاعر الأحساء عبد الجليل الطبطبائي وغيرهم.

(١) عبدالله خالد الحاتم، أمير شعراء النبط محمد بن لعبون، مجلة البيان العدد ٢، ١٩٦٦م.

ثقافته.

إن المتفحص لشعر ابن لعبون يجده ينحى فيه منحى الشعر العربي الفصيح في كل أساليبه ومعاييره ومعانيه وقوافيه وتضميناته واقتباساته، وتجد في شعر ابن لعبون الصور البلاغية وبديعها. يبدأ قصائده كما يبدأها الأوائل بالنسيب والغزل، ويعرّج على ذكر الركائب والظعائن، ويصف ما تمر به من القفار والبلدان وكأني به يهيئ السامع له، ويحفزه لسماع ما يريد قوله ومتى ما تم له ذلك وضمن التعاطف والاستحسان والثناء خلص إلى مراده من القصيدة بسلاسة ثم ختمها بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله ﷺ .

ويلاحظ القارئ أو السامع لشعر ابن لعبون حسن مطالع قصائده وحسن ختامها وبين هذه وتلك دقة وصفه، ورقة غزله، وبلاغة مدحه، وعنف هجائه، ومعاناة رثائه.

يتميز شعر ابن لعبون عن شعر معظم شعراء النبط بثرائه لغويًا وأدبيًا. فلقد كان للبيئة التي عاش فيها والظروف الاجتماعية والسياسية التي أحاطت به أثرٌ كبيرٌ في صقل شخصيته وشاعريته. فقد جمع «ابن لعبون» بين خلفية عربية غنية نقشت في نفسيته ووجدانه منذ نعومة أظفاره وهو في رعاية أبيه العلامة حمد بن لعبون، حيث حفظ القرآن وتعلم الخط وبرع فيه وقال الشعر في صغره. إن نشأة ابن لعبون في بيئة علم وأدب مكنته من الاطلاع على أمهات الكتب في لغة العرب وآدابهم مما صقل لغته العربية وفتح آفاق مداركه الأدبية، وبهذا الرصيد العلمي وهذه الخلفية الثقافية اقتحم ميادين الشعر فنبغ فيها مازجًا فصيحه العربي بعاميّة النبطي فجاء شعره رصينًا قويًا

تجد فيه الكثير من البلاغة اللغوية واللفتات الذهنية والمحسنات اللفظية والاستعارات البديعية والاقتباسات الأدبية.

المؤرخ ابن بشر وابن لعبون.

أورد ابن بشر في حوادث سنة ١٢٤٧هـ مانصه:«وفي هذا الطاعون مات رئيس الزبير علي بن يوسف الزهير، وفيه أيضًا توفي الشاعر المشهور محمد بن حمد بن محمد بن لعبون المدلجي الوائلي، مات بالكويت، وكان شعره جيداً، إلاّ أن فيه تخبيط في العقيدة، وقيل إنه أنشأ قصيدة تاب فيها وتضرع إلى الله»(١).

عبارة ابن بشر «إلاّ أن فيه تخبيط في العقيدة» مبهمة، ولم يأت بدليل على ماذكر، ولعله قصد بذلك ماورد في بيتين أو ثلاثة من أبيات شعر ابن لعبون توسل فيها بجاه الرسول ﷺ وهذا ما لا تقره الشريعة السمحاء ولكنه كان أمراً شائعًا في ذلك الوقت وخاصة في منطقة الساحل، وقل من سلم منه نسأل الله لهم المغفرة.

معاناته.

من خلال ماتوفر لنا عن حياة ابن لعبون وتنقلاته، وإن كان مقتضبًا، يتبين لنا كم كانت حياته صعبة، رحمه الله، قضاها متنقلاً إن لم يكن طريداً لا يقر له قرار وكأنه بذلك يعيد سيرة والده وتنقل عائلته في قرى نجد بعد هدم حرمة. وبقدر ما اكتسبه ابن لعبون من خلال رحلاته من خبرة وصقل لشخصيته، رحمه الله، فقد عانى الكثير من متاعب الحياة وهمومها، وصراعه مع الحكام ومنافسته للشعراء، ومعاناته مع من تعلق بها قلبه، وشظف معيشته، فلقد

(١) ابن بشر المصدر السابق٢/٨٤.

سئم الحياة وتمنى أنه لم يأت إليها، وأخيراً تداعي قواه أمام المرض العام الذي فشا في المنطقة واقتنصته يد المنون وهو في عز شبابه. مات غريبًا وحيداً في الكويت، رحمه الله وغفر له.

وفاتـــــه.

ذكرنا ما اختلف فيه الرواة فيما يتعلق بسنة وفاة الشاعر محمد بن لعبون ونعود في هذا الموضوع إلى ما ذكره والده حمد بن لعبون عن ابنه الشاعر بقوله: «ولم يزل هناك إلى أن توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧هـ في الطاعون العظيم الذي عم العراق والزبير والكويت»[١].

وعن عمر الشاعر يقول أبوه الشيخ حمد «فيكون عمره ٤٢ سنة ». ويحدد الشيخ عبد الله بن بسام وفاة ابن لعبون في ربيع الثاني لسنة ١٢٤٧هـ[٢].

ودفن ابن لعبون، رحمه الله، في مدينة الكويت، وللأديب الشاعر عبد العزيز بن سعود أبابطين[٣] أهتمام في البحث والتحقق عن مكان قبر ابن لعبون وذلك من خلال اتصالاته منذ مدة طويلة بكبار السن والمهتمين بشعر ابن لعبون، ومن لهم دراية وعلم في المكان الذي دفن فيه. ويذكر أبا بطين أن أحمد الجارالله أخبره أن سليمان الجراح كان قد دله على مكان القبة التي أقامها العامة على قبر ابن لعبون. كما أن عبد اللطيف الثويني ومنصور الخرقاوي أيضًا يعرفان موقع قبر ابن لعبون وأنه يقع في منطقة الجسره (اليسره) بالكويت التي كانت تعرف بنقعة الصقر على ساحل السيف، وهي اليوم حديقة متحف حمود بن يوسف البدر. كما يذكر أنه كان في الكويت

(١) حمد بن لعبون، المصدر السابق. ص ٦٠١.
(٢) عبد الله بن بسام، علماء نجد خلال ستة قرون. ص ٢٣٧.
(٣) مقابلة شخصية مع الأديب عبد العزيز أبابطين، الخبر، ١٤١٦هـ.

وقتذاك ثلاث قباب، ثنتان على مايزعم أنه قبر الخضر في جزيرة فيلكا وواحدة على قبر ابن لعبون بالكويت وكان العامة يزورون هذه القباب. وفي بادرة حسنة لتبني قبول الدعوة السلفية التي حمل لوائها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله، والتي أخذت تنتشر في المنطقة فقد قام الشيخ مبارك الصباح بهدم هذه القباب الثلاث.

وحول مكان قبر ابن لعبون نقول إن مايشيعه الناس بالكويت من أن ابن لعبون أوصى أن يدفن على قارعة الطريق التي تمر بها النساء عند ذهابهن وإيابهن إلى البحر، فهذه ربما قالها من باب المداعبة إذ ليس من المعقول أن يسمح أهل الكويت وحكامها وعلماؤها وأصدقاء ابن لعبون ومعارفه ووجهاء الكويت كالحاج يوسف اليعقوب البدر وعائلته أن يدفن مسلمًا خارج مقابر المسلمين حتى لو أوصى بذلك. إنها قصة تحتاج إلى تحقيق وبرهان. ومثلها مثل مايشاع عن أبيات قالها عن تحديد مواعيد لقائه بالنساء على السيف مما لايتفق تمامًا مع مايتمتع به ابن لعبون من عزة وكرامة وعفة لسان. ونترفع أن نذكر هذه الأبيات لما فيها من خدش لحياء القلم عند كتابته لها. كما أنها من الأساطير التي حيكت حوله، رحمه الله.

ابن لعبون والوجه الآخر.

كان ابن لعبون، رحمه الله، كما تواترت الأخبار، حسن الطلعة، حسن الصوت، خفيف الظل، حسن المعشر يحب الطرب والمرح والفكاهة، وربما كان هذا الجانب من شخصية ابن لعبون ماجعل خالد بن الفرج يقول عنه :«وكان طبعه ميالاً إلى اللهو والبطالة»[(١)] وكذلك قوله :«فقد كان ابن لعبون زير نساء، وحليف مزهر ومزمار»[(١)] وهذا ماغلب على رأي العامة فيه وتندرهم بغرامياته وماورد في شعره من غزل.

(١) خالد بن عبد الله الفرج، المصدر السابق.

لقد طغى ماتناقله العامة وتندروا به من أوهام وأساطير حول ابن لعبون على حقائق تركها المؤرخون والأدباء عنه وعلى كثير من المعلومات التي يمكن استنباطها من شعره أو أحداث المنطقة في وقتها. إن ما أمكن معرفته من تناقض بين ماتناقلته الشفاة عن ابن لعبون وواقع حاله يجعلنا نشكك في مصداقية معظم ماروي عنه من أخبار ونوادر.

وهنا ندعو جميع المهتمين بشعر ابن لعبون وحياته أن يجتهدوا معنا لإجلاء صورة ابن لعبون وإظهارها على حقيقتها أيا كانت بعيداً عن مغالاة محبيه أو تشويهات مبغضيه أو مغالطات الرواة.

ولا بد لنا هنا من وقفة، إن من كان في صفاته مثل ابن لعبون، وإن كان فيه شيء مما ذكر لا يمكن أن يوصف بما وصفه به ابن فرج أو حتى ما أشاعه العامة عنه، وتندروا به ذلك لأسباب عدة منها:

١- حسبه ونسبه وعلمه ووجوده بين ظهراني عائلته من آل لعبون وأبناء عمومتهم من آل عون (آل ضاحي) وآل مدلج ولهم الرياسة والشرف وجماعته من أهل حرمة ما يجعله يحسب ألف حساب لتصرفاته خاصة أنه محسوب على عائلته وجماعته التي هي في صراع مع العوائل الأخرى، والتي تبحث عن أية مثالب وهنات لتؤخذ ضد أهل حرمة.

٢- مواقف ابن لعبون الرجولية للذب عن جماعته ومن ناله ضيم جعلته يستأسد ويدافع بكل شراسة وبأحدّ الألسنة، وما كان له أن يأخذ مثل هذه المواقف «لو كان كما وصف».

٣- مواقف ابن لعبون وخاصة السياسية منها جعلته يتميز بجهاده ودفاعه عنها، ويدخل في صراعات يعرف قبل غيره ماسيدفعه من ثمن بسببها، وماكان ليدخلها «لو كان كما وصف».

٤- إن مناقضاته وهجاءه لصديقه الشاعر ابن ربيعة لم تكن إلاّ بسبب

اختلافهما سياسيًّا؛ وما وقوفه بوجه حاكم الزبير أو آل ثاقب ومن شايعهم وخاصة أمراء المنتفق، وتعرضه لمتسلم البصرة العثماني وغيرهم وهجاؤه لهم إلاّ لاعتداده بنفسه وصلابة مواقفه ودفاعه عنها وما كان ليقفها «لو كان كما وصف».

٥- إن المتصفح لديوان ابن لعبون يبهره غزارة علمه وسعة اطلاعه، وإن المستقرئ لخلفية ابن لعبون وحفظه للقرآن صغيراً ونشأته في كنف أبيه العلامة الشيخ حمد بن لعبون تجعله يتسائل كيف يتسنى لابن لعبون ذلك «لو كان كما وصف»؟

٦- علاقات ابن لعبون مع أكابر الناس من وجهاء وأدباء وأمراء في مختلف البلدان في نجد والساحل ماكان له أن يوطد علاقاته بهم ويشاركهم مجالسهم ويتراسل معهم «لو كان كما وصف».

٧- لقد شاع وذاع صيت ابن لعبون وقويت حجته، ولابد أن يكون ذلك على حساب أقوام لا يرضيهم ذلك، فما كان لهم إلاّ محاربته بكل الوسائل حيًّا وبعد مماته، وإلاّ فأين دواوين شعره، فليس من المعقول أن من كان في مثل براعته بالخط أن لا يترك مخطوطًا، وما كان ليشتهر «لو كان كما وصف». إنها حرب إعلامية بعد فشل خصومه في الوقوف بوجهه. وكما تشابه ابن لعبون والمتنبي بلاغتًا وشعراً تشابه معه في تعرضه لحرب اعلامية شرسة ومثال لما نقول ارجع الى قصة اخراجه من الزبير كما يتناقلها ويتندر بها العامه وكما أوردها الأدباء.

ولنعد إلى العرب ومقولتهم البليغة «أعذب الشعر أكذبه» ومعروف أن ليس كل مايقوله الشاعر انعكاسًا لواقعه، فالشاعر قد يسمو به الخيال واللفتات الذهنية ممايجعله يسبح في الخيال، وربما تشبب بفتاة أبدع في وصفها وهو لم يرها، إذ يخترع لقاءات لا وجود لها، وربما كان وصف هذه وتلك أبلغ من وصفها لو حدثت حقيقة. بقي أن نقول إنه مع تشبب ابن لعبون بميّ وتغزله قد قال:

سلـينـا لا حــــلالا ولا حــــرامــــا

عـلـيـــــهن الـطـلاق بلا جــــــواز

وقال أيضًا:

والـهــــــوى من هـواهــن مـــحـــــروم

غـــيـــر وصـل لا حــــلال ولا حــــرام

وقالوا عنه وقال:

وقـــــالـوا نال مـنـهـــا مــــــاتمـنـى

وانا مــــانلت مـنهــا إلاّ الـنـدامـــه

قبل حوالي ربع قرن كنت في زيارة للأديب الشاعر عبد العزيز بن سعود أبابطين في مكتبه بالكويت، فتذاكرنا ابن لعبون فذكر لي أنه في إحدى زيارات الشيخ أبي سليمان القاضي له في مكتبه، وكان شيخًا كبيراً يتوكأ على عصاه استشهد ابن قاضي وهو يصعد الدرج ببيتٍ من الشعر يقطر عذوبة وخوفًا من الله، فسألته من قائل هذا البيت يا أبا سليمان؟ فقال ألا تعرفه إنه خالك ابن لعبون. فاستغربت وقلت: ابن لعبون يقول مثل هذا الشعر؟ فأجاب ابن قاضي: ما عرفتم من شعر ابن لعبون إلا ماخف على الطار.

استوقفتني هذه القصة، وعددتها طرف الخيط الذي من خلاله سأعثر على جانب آخر لشعر ابن لعبون فاجتهدت وقتها للبحث عن ابن قاضي لأستزيد منه عن ذلك الجانب لشعر ابن لعبون ومع الأسف لم أعثر عليه فهل هنالك من له علم بالوجه الآخر لابن لعبون؟

رحم الله ابن لعبون وغفر الله له وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

الفصل الثالث

الوضع العام في عصر ابن لعبون

نظراً لما للوضع السائد في عصر ابن لعبون من أثر كبير في حياته الخاصة وتأثير بالغ في شعره، ولتنقل ابن لعبون في أكثر من بلد خلال فترة عصيبة وحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية وهي فترة تخلخل دولة الخلافة العثمانية وتضعضعها ووصول الأوربيين وبشكل خاص الإنجليز إلى مياه الخليج العربي وسواحله لمهاجمة الدولة والانقضاض على ثغورها وبث الدسائس وإذكاء الفتن بين شعوبها. لقد أفرزت هذه الحقبة من الزمن وضعًا سياسيًا ودينيًا واجتماعيًا أقل ما يقال عنه إنه مضطرب وفي هذا الوضع ظهر ابن لعبون، لذا كان لابد من إلقاء نظرة على أوضاع البلاد والمجتمعات التي عاش بها ابن لعبون.

سدير.

كان وسط جزيرة العرب بشكل عام ونجد بشكل خاص قبيل عصر ابن لعبون بمنأى عن دولة الخلافة العثمانية فلكل إقليم منها بل وكل مدينة أو قرية أميرها الخاص بها، وكل إمارة في صراع مع من حولها من الإمارات وبذا شاعت الحروب والغزوات وتقاتل المسلمون فيما بينهم، وتنافس أبناء البلد الواحد على رئاسته وسفكت الدماء من أجل ذلك.

هذا من الناحية السياسية والأمنية أما من الناحية الدينية فقد أصاب عقيدة الناس ما أصابها. «وكان الشرك إذ ذاك قد فشى في نجد وغيرها،

وكذا الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور، والبناء عليها والتبرك بها والنذور لها، والاستعاذة بالجن والنذر لهم، ووضع الطعام وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم، والحلف بغير الله وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر»[1].

وبقيت المنطقة في هذه الحالة حتى قيض الله لها ولجزيرة العرب بشكل عام والعالم الإسلامي بشكل أعم رجلاً مصلحًا وهو الشيخ محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله، الذي ظهر في منتصف القرن الحادي عشر الهجري وأخذ على عاتقه تصحيح ما انحرف من معتقدات هذه الأمة، وسعى لنشر التوحيد بعدما تفشت فيها البدع والضلالات، وقد هيأ الله لهذا المصلح في عام ١١٥٧هـ أمير الدرعية محمد بن سعود ليقف بجانبه ويسانده في نشرها في الجانب الآخر لها وهو حمايتها وفتح الأبواب الموصدة أمامها.

وخلال تلك الحقبة من تاريخ نجد جرت أحداث جسام تركت آثاراً لها داخل نجد وخارجها، ومن ذلك ماحصل في بلدة حرمة من إقليم سدير التي أسسها إبراهيم بن حسين بن مدلج جد شاعرنا ابن لعبون الذي انتقل إليها من التويم التي أسسها جده مدلج الوائلي. لقد قامت حرمة وأختها الكبرى التويم بدور كبير في تاريخ المنطقة وتركتا لهما أثراً في كتب التاريخ. وفيما يتعلق بموضوعنا حول الوضع العام في سدير فإننا سنستعرض أهم الحوادث في تاريخ حرمة من خلال مانشر عن تاريخ المنطقة فقد ذكر ابن بشر عند سرده لحوادث سنة ١١٨٨هـ قوله: «وفيها وفد أهل بلد حرمة على الشيخ (الشيخ محمد بن عبدالوهاب) وعبد العزيز (عبد العزيز بن محمد بن سعود)، وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، وطلبوا منه عدم المطالبة بالجهاد حتى تركد بلادهم، فأجابهم إلى ذلك»[2].

(١) عثمان بن عبدالله بن عنوان المجد في تاريخ نجد ج١/ص ١٢٣
(٢) عثمان بن بشر، المصدر السابق ،ج١/١٣١.

وفي حوادث سنة ١١٩١هـ ذكر ابن بشر أن عثمان بن عبد الله أمير حرمة أبلغ عبدالعزيز بن محمد بن سعود أن أهل حرمة «قد ظهرت منهم أمارات الردة ونقض العهد»[١]. فأرسل عبد الله بن محمد بن سعود[٢] بالجيش إلى حرمة «فوصلوا بلد حرمة بالليل وهم هاجعون، ففرق عبد الله رجالاً في بروج البلد والبروج التي على السور وعلى الدور وعلى بنيان القلعة والجموع في متارسها، فلما انبلج الصباح ونادى آذان الفجر حي على الصلاة، أمر صاحب كل بندق أن يثوّر ما في بطنها فثوروا البنادق دفعة واحدة، فارتجت البلد بأهلها وأسقط شيء من الحوامل، ففزعوا فإذا بالبلاد قد ضبطت» ولم يترك عبد الله بن محمد البلد إلاّ بعد أن أخذ البيعة من أهلها، واقتاد أربعة رهائن من كبار رجالها.

وفي ذات السنة ١١٩١هـ حصلت حوادث شغب داخل بلدة حرمة، وأذكاها من كان خارجها، واضطرب الأمر في حرمة والمجمعة «فجهز إليهم عبدالعزيز ابنه سعود وسار إليهم ومعه جميع أهل البلدان من العارض والوشم وسدير ركبانًا ومشاة.... فوقع بينهم وبين أهل البلد فقال، ونازلوهم أيامًا فصالحهم سعود، أنهم يطلقون الأسرى الذين عندهم من أهل المجمعة، ويطلق لهم الرهاين الذي في الدرعية، وبايعوه وشرط عليهم أن جاسر الحسيني[٣]، يرحل عن البلد ففعلوا واستعمل عليهم أميراً ناصر بن إبراهيم...»[٤].

وتدخل سنة ١١٩٣هـ ومن حوادثها يذكر ابن بشر أن أهل حرمة نقضوا العهد باتفاقهم وأهل الزلفي وبنو خالد على مهاجمة المجمعة، وكان بها مرابطة وضباطًا من جهة عبد العزيز بن محمد بن سعود وتحركت هذه الجموع وحاصروا أهل المجمعة إلاّ أنهم لم يتمكنوا من دخولها، ولما طال أمد الحصار

---

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق،١/١٣٩.
(٢) عثمان عبد الله بن بشر:ج١ .
(٣) الصحيح أنه جاسر الحسني نسبة إلى قبيلة الحسنة.
(٤) عثمان بن بشر، المصدر السابق،١/١٣٥.

وعلم بنوخالد أن أهل المجمعة ممتنعون رحلوا منصرفين، وكذلك رحل أهل الزلفي إلى بلدهم وبقيت الحرب بين أهل حرمة وأهل المجمعة.

وبعد أن تفرقت الجموع من حول المجمعة جهز عبد العزيز بن محمد أخاه عبد الله بن محمد بجيش ونازل أهل حرمة في قتال شرس قتل فيه من أهلها عدد من الرجال، ولم يحسم الأمر إذ رحل عنهم عبد الله بالجنود إلى أوطانهم وبقيت الحرب بين أهل حرمة والمجمعة وهم محاصرون، وفي كرة ثانية جهز سعود بن عبد العزيز بن محمد جيشًا «استنفر أهل البلدان مشاة وركبانًا ونزل على بلد حرمة وحاصرها أشد الحصار وقطع نخل قاضيهم عبدالله المويس وملك أكثر نخلها، وأقام عليها عدة أيام كل يوم يباكرها بالقتال ويراوحها حتى وصل إلى جدار القلعة وحصرهم فيها»[١]. استمر القتال حتى طلب أهل حرمة الصلح «فأبى عليهم إلا أن تكون بيت مال أو يزيل ما في البلد من المحذور من الرجال وغيرهم، فصالحه أهلها على ما في بطن الحلة والأموال» ولما استقر الصلح كتب سعود إلى أبيه يخبره بذلك، فكتب إليه والده «أن أهل هذه القرية تكرر منهم نقض العهد وهي محذورة كلها فاهدمها ودمرها»، فهدم سورها وبعضًا من بيوتها وأمر أيضًا على أناس من أهلها أن يرتحلوا عنها[٢]. هكذا انتهى الحال بحرمة وأهلها نزحوا عنها إلى أرض الله الواسعة فمنهم من بحث له عن موطن في نجد كالشيخ حمد بن لعبون والد الشاعر وبعض أفراد عائلته وأكثرهم هاجر إلى الزبير، ومن ضمنهم كثير من آل مدلج أبناء عمومة الشاعر في نزوح جماعي ترك له أبلغ الأثر في تاريخ المنطقة.

وبعد أن استقر الوضع في نجد ونعمت بالأمن وسيادة الشرع ظهر ابن لعبون وظل يعايش أحداث حرمة في سنة ١١٩٣هـ وتهجير عائلته منها ونزوحها إلى القصب. ومنها إلى ثادق التي ولد فيها وترعرع. فظل يشارك أهله حنينهم إلى

(١) عثمان بن بشر، المصدر السابق، ١/١٣١. (٢) المصدر السابق.

بلدهم حرمة، ويعلم أن ثادق لن تكون المقر الدائم لعائلته فهاجس الهجرة يؤرقهم، وكأنني به قرر مواصلة الترحال وترك ثادق قبل أن يتركها والده وعائلته وشد الترحال في عام ١٢٢٢هـ بعيداً إلى الشمال إلى الزبير.

وما لبث الشيخ حمد بن لعبون أن انتقل وعائلته إلى حوطة سدير في عام ١٢٣٣هـ وبعد خمسة أعوام أمضتها العائلة في الحوطة قررت العائلة العودة في سنة ١٢٣٨هـ إلى مسقط رأس جدودها إلى التويم التي أسسها الجد مدلج بن حسين الوائلي عام ٧٠٠ هـ، وبها استقر الشيخ حمد وجعلها مسكنًا له.

الزبير.

وصل ابن لعبون إلى الزبير عام ١٢٢٢هـ حيث سبقه إليها مئات العوائل من نجد عامة وسدير خاصة، فقد كانت الزبير ملاذاً لمن يقصدها ومأوى لمن يحتمي بها، فعندما تقسو الظروف على نجد وأهلها وتشح المياه وتجدب الأرض وتعصف موجات القحط يتجه أبناء نجد شمالاً في هجرات جماعية وفردية ناشدين متسعًا من العيش في الزبير، وعندما يفر أفرادٌ من بلدانهم خوفًا من ثأر أو خشية انتقام أو هربًا بكرامة وعزة يجدون في الزبير ملاذاً وبلداً بديلاً، ومثال ذلك عندما احتضنت الزبير وطبان بن ربيعة بن مرخان في سنة ١٠٦٥هـ عندما لاذ بها هاربًا بعد أن قتل في الدرعية ابن عم له يدعى مرخان بن مقرن بن مرخان بسبب الصراع على الحكم[1]. لقد كان لآل ثاقب وهم من ذرية وطبان شأن كبير في التنافس على إمارة الزبير والاستئثار بها. ومثال آخر مشابه عندما وفد إلى الزبير في عام ١١٦٠هـ يحيى بن سليمان بن محمد بن زهير مع ولديه يوسف وسليمان[2]. وكان ليحيى هو الآخر وذريته شأن في صياغة تاريخ الزبير. واستقبلت الزبير أفواجًا من النازحين إليها من

(١) عبدالله بن محمد بن سعود هو والد الإمام تركي بن عبد الله.
(٢) الصانع والعلي. (إمارة الزبير بين هجرتين)، ٦١/١، محمد الرقراق لمحات من ماضي الزبير ص

نجد عقب كل موجة جفاف وما أكثرها من موجات تعصف بنجد، وقد أطلق الناس على أهم سنين الجفاف والقحط أسماء تميزها عن بعضها الآخر، ومنها عام بلادان وهبدان وصلهام وسحدان وسحي وشيتة وسوقه ودولاب وغيرها. واستقبلت الزبير نوعًا آخر من النازحين وهم المرّحلون أو اللاجئون سياسيًّا إن صح التعبير فنتيجة للأحداث السياسية والصراعات الداخلية في نجد نزحت عوائل برضاها أو رغمًا عنها، وانتقلت لتستقر في الزبير وعملت مع من سبقها في بناء مجتمع نجدي خاص بها، ومن أمثلة ذلك النزوح الجماعي هجرة عوائل كبيرة من حرمة في سنة ١١٩٣هـ بعد طردهم منها وقطع نخيلهم وهدم بيوتهم ومصادرة أملاكهم. ومن هذه العوائل العون والعودة واللعبون من آل مدلج والعبد الكريم (المعمر) والسميط والعقيل والعنيزي والفداغ والقرطاس وغيرهم[١].

ومع أن موضوع بحثنا لايتعلق بتاريخ الزبير إلاّ أنه لابد من سطور قليلة تسلط الضوء على طبيعة هذا البلد وأوضاعه السياسية قبيل وبعد وصول ابن لعبون إليه لما في ذلك من أهمية لمعرفة العوامل التي أثرت في حياة ابن لعبون وشعره وتوضيحًا لأسماء ذكرها في شعره.

إن المتتبع للتاريخ السياسي في الزبير لابد أن يلفت نظره حقيقتان نادرتان يتمتع بها هذا البلد وسكانه المهاجرون إليه. إن موقع الزبير الجغرافي وطابعه الديني له أكبر الأثر في رسم تاريخه السياسي ووضعه المتميز. يقع بلد الزبير على أطراف البادية، وتؤثر فيه طباعها وأعرافها وهو ليس بمنأى عن البصرة حيث سلطة الدولة العثمانية ونظمها وتشريعاتها، لذا فنرى الزبيريين يلجأون مرة للبادية وعشائرها ومرة يستندون إلى الدولة وسلطتها وللكويت أيضًا دور في تاريخ الزبير. إن وجود عدد كبير من أضرحة الصحابة والتابعين، رضى الله عنهم، في بلد الزبير وحولها جعل العثمانيون يضفون على هذا البلد صبغة

(١) الصانع والعلي، المصدر السابق ،١/٦٢.

دينية، ويخصون أهلها بميزات واستثناءات، وقد ساعد على إضفاء هذه الصبغة تمسك أهل الزبير بأهداب مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا ماجعل من الزبير بلداً متديناً في وسط مجتمعات أقل تديناً. أما بالنسبة للوضع السياسي فإن للموقع الجغرافي والصراع الدولي وقتذاك وطبيعة السكان أكبر الأثر في تشكيله وصياغته. لقد كان لمعظم النازحين إلى الزبير من قوة الشخصية والمنزلة الاجتماعية والخلفية السياسية ماجعلهم يطمحون لتبوء المكانة اللائقة بهم واعتلاء منزلة الرئاسة وانتزاع السلطة وتولي الإمارة، وخاصة أولئك المنحدرين من عوائل ذات عزة وسيادة ومنعة في نجد. ومثال ذلك ذرية ثاقب ابن وطبان الذين يرتبطون مع آل سعود بالجد مقرن فقد كان لهم دور كبير في التاريخ السياسي للزبير وصراعهم مع العوائل الأخرى من أجل اعتلاء سدة الحكم، وآل زهير الذين تنفذوا في الزبير وحكموا وكذلك أهل حرمة وحريملاء من أبناء وائل وغيرهم من كبار أسر هاتين البلدتين والبلدان الأخرى من نجد. ومجمل القول إن هؤلاء الرجال نقلوا إلى الزبير كل ماحملوه معهم من نجد وحافظوا عليه ومن ذلك تنافسهم على الرئاسة والشرف.

يعدّ الشيخ يحيى بن محمد بن زهير أول من اعتلى سدة الحكم في الزبير وذلك سنة ١٢١١هـ (١٧٩٧م) وذلك بدعم ومساندة من والي العراق العثماني في بغداد (سليمان باشا) وكان متسلم البصرة آنذاك عيسى بك المارديني، وعندما تعرض بلد الزبير والبصرة إلى تهديدات خارجية واضطرب الأمر قام حمود بن ثامر آل سعدون أمير قبائل المنتفق المتنفذة في جنوب العراق بتنصيب إبراهيم بن ثاقب بن وطبان شيخًا على الزبير، وذلك في سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) واستمر ابراهيم في حكمه حتى قتل سنة ١٢٣٧هـ (١٨٢١م) وقد تعاقب على متسلمية البصرة خلال تلك الفترة كل من عبد الله آغا وبكر آغا

ومحمد كاظم آغا. أما ولاة العراق فكانوا سليمان باشا وسليمان باشا الفتيل وداود باشا. وبعد مقتل إبراهيم بن ثاقب تولى ابنه محمد مشيخة الزبير لمدة قصيرة لم تتجاوز الأشهر الستة اضطربت خلالها البلد ونشبت صراعات بين آل ثاقب وآل زهير انتهت بفرار محمد بن إبراهيم بن ثاقب من الزبير والتجائه إلى الشيخ حمود بن ثامر آل سعدون، وبانتخاب أهل الزبير وبدعم من متسلم البصرة محمد كاظم آغا تولى يوسف بن يحيى بن زهير مشيخة الزبير ولشهور قليلة وذلك سنة ١٢٣٨هـ (١٨٢٤م) وبعد فشل محمد بن ثاقب في استرداد سلطته من آل زهير بالقوة استعان بالشيخ حمود الذي تمكن وبخديعة من إلقاء القبض على شيخ الزبير يوسف بن زهير ومؤيديه وأودعهم السجن، وأعاد تنصيب محمد بن ثاقب شيخًا على الزبير في السنة نفسها (١٢٣٨هـ) أما يوسف بن زهير فقد توفي في سجنه سنة ١٢٣٩هـ (١٨٢٣م).

اتهم آل زهير الشيخ محمد بن ثاقب بقتل الشيخ يوسف فثار أهل الزبير على محمد بن ثاقب مما اضطره للهرب إلى الكويت ملتجأ بالشيخ جابر العبد الله الصباح وذلك في سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٤م) جرت هذه الأحداث على مرأى ومسمع من الدولة العثمانية التي كان واليها على العراق وقتذاك داود باشا وتعاقب على متسلمية البصرة خلال تلك الفترة كل من كاظم آغا وعزيز آغا.

اضطربت الأحوال السياسية بالزبير وبدعم من علي بن يوسف بن زهير قرر أهل الزبير تولية ناصر بن ناصر بن راشد المشيخة وذلك سنة ١٢٤١هـ، وكان الحاكم الفعلي وقتها الشيخ علي بن زهير، استمر الشيخ ناصر في الحكم حتى مقتله سنة ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) على يد محمد بن فوزان السميط نتيجة خلاف أدى إلى فتنة بين آل سميط من رؤساء أهل حرمة وآل راشد من رؤساء أهل حريملاء.

تولى جاسر بن فوزان السميط مشيخة الزبير ولمدة قصيرة حيث لم تستقر له الأمور فقد قدم آل راشد يساندهم آل زهير من البصرة فحصلت معركة مع أهل الزبير وتدارك الأمر سراة القوم وعقدوا صلحًا بين الطرفين وبعد مدة أراد آل راشد وآل زهير نقض العهد، ولم يتمكنوا فلجأوا إلى الخديعة من خلال متسلم البصرة عزيز آغا بعد أن أوغروا صدره على شيخ الزبير جاسر بن فوزان السميط، وعندما استدعى عزيز آغا الشيخ جاسر بن فوزان إلى البصرة للتشاور اصطحب عدداً من أتباعه من أهل حرمة منهم أحمد بن ضاحي بن عون وعوده ابن إبراهيم وسليمان بن فداغ، وما أن تمكن المتسلم من جاسر وجماعته حتى اعتقلهم وأمر بقتل جاسر، وعذب جماعته وفرض عليهم غرامات مالية ونهبت دورهم فهاجر بعضهم إلى الكويت.

تولى علي بن زهير وبدعم من متسلم البصرة عزيز آغا مشيخة الزبير في سنة ١٢٤٣هـ واستقرت الأحوال بالزبير حتى سنة ١٢٤٧هـ (١٨٢١م) حين مات علي بن زهير بوباء الطاعون الذي عم المنطقة.

نعود الآن إلى شاعرنا ابن لعبون الذي هاجر في عام ١٢٢٢هـ إلى الزبير حيث أبناء عمه من بني وائل الذين سبقوه بالهجره من حَرْمَة مع مئات ممن هاجر معهم من أسر سديرخاصة ونجد عامة إلى الزبير. وكان لبني وائل وبالذات آل عون ومنهم الشيخ ضاحي وابنه أحمد الرئاسة والشرف والغنى في الزبير كما كانت لهم في حَرْمَة من قبل.

وصل ابن لعبون وهو ابن السبعة عشر ربيعًا وفي زهرة شبابه إلى الزبير فوجدها أشد اضطرابًا وليست بأسعد حظًا من نجد، فكأني به كالمستجير من الرمضاء بالنار، فها هي الزبير تذكره بأيام الفوضى والصراع التي كانت سائدة في نجد فالتنافس فيها على الرئاسة قائم على أشده بين آل ثاقب الوطبان يناصرهم السعدون وآل زهير يناصرهم وأهل حَرْمَة. وما كان لابن لعبون من بُدٍّ

إلاّ أن يخوض غمار هذا الصراع فيطلق لشاعريته العنان لنصرة أبناء عمه وجماعته، ويتحمل تبعات ذلك من الحكام وممن شايعهم من الشعراء والعامة.

أما من الناحية الأدبية فقد كانت الزبير منارة علم وأدب وثقافة حيث كانت تعج بالأدباء، والشعراء ومن الشعراء الذين عاصروا ابن لعبون فيها واضطلعوا بدور في حياته الشعرية الشاعر الكبير عبدالله بن ربيعة الذي وقف في صف أبناء عمه آل ثاقب ودافع عنهم، فدخل في تنافس مع ابن لعبون فهجا كل منهما الآخر، وربما أعاد تأريخ الأدب فيهما ماكان بين جرير والفرزدق فقد أثر كل منهما في شعر الآخر.

وجد ابن لعبون في الزبير ما لنجد في قلبه فجو الزبير الصحراوي أشبه مايكون بجو نجد، وهوائها، ومبانيها كمباني نجد مادة، وتخطيطًا، وسكانها جميعهم من نجد وأهل سدير خاصة، ومعظمهم من قبيلته من بني وائل. فأهل نجد النازحون إلى الزبير جعلوا منها إمارة نقلوا إليها كل مافي نجد من عادات وتقاليد حتى الصراع على رئاسة البلد انتقل معهم إلى الزبير فتنافس على الإمارة عوائل، ومن العائلة الواحدة تنافس أفراد.

وكما تنفذ أهل نجد في الزبير تملكوا في البصرة الكثير من البساتين والنخيل فكانت مصدر ثراء لهم ومتنفسًا ومتنزهًا. ومع ما لبساتين النخيل والفواكه والخضروات والأنهار الجارية في البصرة من أثر يغري النفوس بالاستقرار بها سيما لأولئك القادمين من قلب جزيرة العرب القاحلة، ومع هذا توقفت هذه العوائل النجدية وقفة تصميم وإرادة أمام هذه المغريات وقررت الاستقرار بالزبير وجعلت منها إمارة نقلت إليها كل ماحملته هذه العوائل معها من حب وإعزاز لنجد ومن عادات وتقاليد وطرق معيشة، فكانت الزبير نجد الصغيرة يفصلها عما حولها سور يكتنف هذا المجتمع النجدي بكل جزئياته،

فعندما نزحت حمائل من نجد متجهة شمالاً إلى العراق حيث الأنهار والخيرات ظلت متمسكة بعاداتها وتقاليدها النجدية فأبت الانصهار في المجتمعات الأخرى.

هذه الزبير التي تعلق بها قلب ابن لعبون وهام بأطلالها وأحبته فيها، وظل يتغنى بها حتى وفاته، رحمه الله.

نفي ابن لعبون من الزبير.

دفع ابن لعبون ثمن مواقفه السياسيه مراراً وأغلى ثمن لهذه المواقف نفيه من الزبير من قبل شيخها علي بن يوسف الزهير، وإذ نسوق قصة نفيه نستشهد بها على ماتعرضت له صورة ابن لعبون من تشويه وافتراء، وتمثل هذه القصة دليلاً على مجانبة ما أشاعه الناس حول ابن لعبون من أساطير ففي الوقت الذي يتفكه العامة بأن ابن لعبون ذهب يوم العيد لمعايدة الشيخ فأعطاه الشيخ العيدية فوضعها ابن لعبون في ردنه (كمه) وخرج وفي الطريق لقيته غانية فصاحت به «الحذيه يابن لعبون» وبسرعة أجابها «خذي ماطويل الخصى أكرم مني» وأفرغ مافي ردنه في حجرها فنما الخبر إلى الشيخ الذي غضب لذلك وأهدر دم ابن لعبون وعندها هرب إلى الكويت. وشتان بين هذه القصة ومايذكره الأديب عبدالله بن خالد الحاتم[1]. وهو أن الشاعر ابن ربيعة أبلغ الشيخ علي الزهير أن ابن لعبون نظم قصيدة جديدة، ولما كان الشيخ من المهتمين والمولعين بشعر ابن لعبون طلبه للحضور إلى مجلسه، وطلب منه إلقاء القصيدة فألقاها على مضض لمعرفته بذكاء وفطنة الشيخ ومع أن القصيدة ليس في ظاهرها مايريب، ومن يسمعها يظنها مدحًا للشيخ والحقيقة

(١) أمير شعراء النبط محمد بن لعبون، مجلة البيان العدد الثاني ، ١٩٦٦.

وكما قال الأديب الحاتم خلاف ذلك فالشاعر ابن لعبون مدح الشيخ على طريقة مدح أبي الطيب المتنبي مع كافور، وما أن انتهى ابن لعبون من إلقاء قصيدته حتى التفت الشيخ علي إلى من حوله، وقال إن ابن لعبون يحرك رأسًا نائمًا فأمره بمغادرة الزبير وأمهله ثلاثة أيام لمغادرة الزبير. غضب ابن لعبون وغادر الزبير في ساعته.

وعلى هذه القصة بروايتيها تقاس أخبار ابن لعبون، ومنها يتبين «الدس» على ابن لعبون لتشويه سمعته وتقليل أهمية مواقفه. بقي أن نقول إن مطلع القصيدة هو:

ياخفيّ اللطف لطفك ياكريم

ترحم اللي اليوم عجز لايقوم

خرج ابن لعبون غاضبًا من مجلس الشيخ علي الزهير فعرّج على نديمه وغريمه عبدالله بن ربيعة وأخبره بالخبر وصحبه إلى آبار الدريهمية حيث استقى ابن لعبون فسمع صوت طار فقال لابن ربيعة «ذا حس طار» فرد عليه ابن ربيعة «أو ضميرك خفوقه؟» فجعلها ابن لعبون مطلع قصيدة صب فيها جام غضبه على شيخ الزبير وأهلها:

ذا حس طار أو ضميرك خفوقه

يدق به من نازح الفكر دقاق

البصرة.

ارتبطت مشيخة الزبير رسميًا بدولة الخلافة العثمانية، وتميزت علاقتها بالدولة بميزات خاصة ، وكان للوضع الجغرافي والديني لبلد الزبير والدولة أكبر الأثر في تحديد معالمها، وقد رسمت أول اتفاقية بين أهل الزبير والدولة ملامح

تلك العلاقة المتميزة فقد أبرم الشيخ يحيى بن محمد بن زهير والقاضي إبراهيم ابن محمد بن جديد في سنة ١٢١١هـ (١٧٩٧م) مع الوالي العثماني على العراق اتفاقية[١]؛ من شروطها أن تتمتع إمارة الزبير باستقلال ذاتي ضمن سلطة الدولة العثمانية، وأن لاتتدخل حكومة البصرة في سياسة الزبير الداخلية وأن يعفى أهل الزبير من الضرائب ومن الخدمة العسكرية، وأن تقوم الدولة بتزويد إمارة الزبير بوسائل الدفاع عن نفسها خارجيًا وإخماد الفتن داخليًا.

في إطار هذه الاتفاقية انصرف أهل الزبير لإدارة شئونهم السياسية والإدارية والاقتصادية دونما تدخل من متسلمية البصرة إلا في حالات تستدعي التدخل عندما يستنجد بها حكام أو جماعات لإخماد فتن أو دعم حاكم أو مساعدته لاستعادة سلطته. وقد تصرف ضمن هذا الإطار متسلما البصرة محمد كاظم آغا وعزيز آغا خلال الأحداث التي جرت إبان الصراع على السلطة بين آل ثاقب وآل زهير وما حصل من فتن بين أهل حرمة وحريملاء مما استدعى التدخل المباشر للمتسلمية.

وقد تعرض كاظم آغا لهجاء ابن لعبون في معرض قصيدته التي هجا فيها ابن ربيعة، ومنها قوله:

وخلوه يبدي حالة غير حاله

ياراجي كاظم وهو قبل حمّال

وأيضًا:

واستدرجه كاظم وكاظم زماله

من ركبها يازي لها دوم زمّال

(١) الصانع والعلي، المصدر السابق ص ١١١ - ١١٢.

بادية العراق.

كما تأثر الوضع الاقتصادي لبلد الزبير بسبب موقعها الجغرافي عند أطراف بادية جنوب العراق فقد تأثر وضعها السياسي بهذا الموقع أيضًا. فقد قامت العلاقة بين حكام الزبير وآل سعدون أمراء المنتفق بدور فاعل في تشكيل الوضع السياسي والأمني في الزبير. تدخل أمراء آل سعدون وخاصة الشيخ حمود بن ثامر السعدون تدخلاً مباشراً في شئون الزبير الداخلية والسياسية خاصة فقد كان تأثيرهم في ذلك يوازي تأثير السلطة العثمانية، ففي الوقت الذي حظي فيه آل زهير بدعم متسلمية البصرة وقف آل سعدون وبقوة بجانب آل ثاقب في صراعهم مع آل زهير على إمارة الزبير، ومكنوا إبراهيم بن ثاقب من مشيخة الزبير ودعموا ابنه محمد من بعده عسكريًا وسياسيًا حتى هروبه إلى الكويت ثم تعرضت بلدة الزبير للهجوم والحصار من قبل عيسى بن محمد بن ثامر السعدون وأتباعه، وبدعم من شيخ الكويت جابر العبد الله الصباح تمكن عيسى في سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٥م) من اقتحام الزبير واعتقال شيخها ابن زهير وأخوته الأربعة، وأعدامهم، وإعادة تنصيب محمد بن ثاقب شيخًا في الزبير.

وقد ذكر ابن لعبون الشيخ حمود السعدون وكذلك الوالي العثماني على العراق داود باشا بقوله:

ولولا حمود هو وداود شاله

ما استملك البصره وبذله للأموال

الكويت.

دفع ابن لعبون ثمن مواقفه السياسية وجرأة لسانه فنفي من الزبير فلجأ إلى الكويت التي كان أميرها وقتذاك الشيخ جابر العبد الله الصباح المعروف بجابر العيش.

سافر ابن لعبون إلى الكويت عن طريق ميناء الخوير الذي يقع في طرف خور عبدالله القريب من الزبير والمعروف لدى العامة بالمجدم، لم يتوفر لدينا معلومة مؤكدة حول تاريخ خروج ابن لعبون من الزبير ووصوله إلى الكويت، ولكن ربما كان ذلك خلال الفترة مابين ١٢٤٣ - ١٢٤٥هـ[1]. ووصل إلى الكويت فوجد أن شهرته قد سبقته إليها فحظي باستقبال وحفاوة وكرم أهلها عامتهم وخاصتهم. وكان ابن لعبون على صلة ببعض أعيان الكويت وأدبائها، ومنهم الحاج يوسف اليعقوب البدر[2].

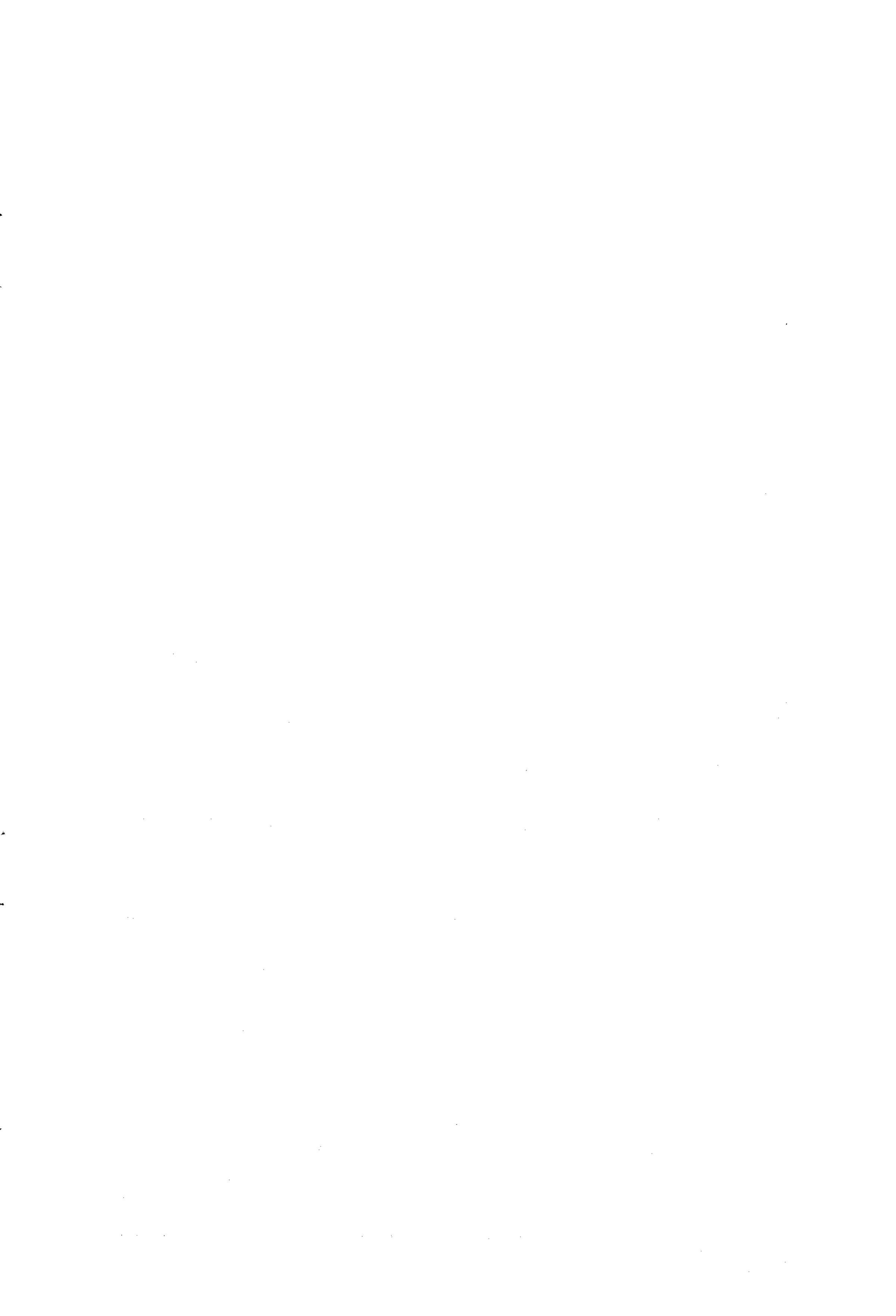
استقر ابن لعبون بالكويت وقلبه معلق بالزبير وذكرياته فيها، وظل يتغنى بها وبمحبوبته وأطلالها. وبعد مدة سئم ابن لعبون الحياة في الكويت فسافر إلى البحرين علّه يجد ما ينسيه الزبير وأحبته فيها.

البحرين.

وجد ابن لعبون في البحرين مجتمعًا تسوده حياة اللهو والمجون والفن والطرب ولكن ابن لعبون لم يمكث طويلاً في البحرين إذإنه بعد أيام قلائل من وصوله لها اضطر لمغادرتها هاربًا. فقد حدث في أحد مجالس طربه تجاوزاً من أحد الحاضرين كاد يؤدي إلى ورطة مع أحد أمراء البحرين، وهذا مادعا ابن لعبون للهرب عائداً إلى الكويت، وسنورد قصة هذه الحادثة عند ذكرنا لقصيدة: ياعلي صحت بالصوت الرفيع في الديوان.

(١) ذكر عبدالله الحاتم (المصدر السابق) أن ابن لعبون وصل الكويت خلال الفترة مابين ١٢٣٥- ١٢٤٠هـ وهذه الفترة لا تتفق وفترة حكم الشيخ علي بن زهير التي امتدت من عام ١٢٤٣- ١٢٤٧هـ (الصانع والعلي، ص ١٥١).

(٢) عبد الله الحاتم المرجع السابق.



الفصل الرابع

أدب ابن لعبون

ابن لعبون عامل وحدة أدبية.

رغم معاناة ابن لعبون وعدم استقراره في بلد معين إلاّ أنه تأقلم مع هذه المجتمعات، وعَدّ كل مجتمع منها مجتمعه وأهلها أهله عاش معهم وتكلم لهجتهم كواحد منهم، وهذه من ميزات ابن لعبون تحسها وتدركها في معظم قصائده.

لقد صهر ابن لعبون لهجته النجدية في بوتقة واحدة مع لهجة أهل الزبير ولهجة العراق ولهجة أهل الساحل ومنها جميعًا صاغ أحلى القصائد بلهجة مقبولة مستساغة مفهومة لدى الجميع، وبذا نجح ابن لعبون في كسر طوق عزلة اللهجات وتخطى الفوارق بين المجتمعات، وأصبح عامل وحدة أدبية في المنطقة نجح من خلالها في جمع سكان نجد بسكان الساحل وجنوب العراق على تذوق شعره وتغنيهم به واعتزازهم به ونسبته لهم. فإذا ما قرأت أو سمعت شعراً لابن لعبون وأنت لا تعرفه فلن يخامرك شك في أنه من قلب نجد يطوف بك بمعالمها وآثارها وبيدها ومدنها وقراها وبلهجة أهلها المتميزة، وكذا تقول إنه زبيري تربى في ربوع طلحة وبين أحيائها الأثرية ولهجة أهلها النجدية المتأثرة بالساحل وجنوب العراق، وكذا فهو بحريني وكويتي وخليجي بشكل عام وبين الحين والآخر تلتقط من شعره مايوحي إليك بأنه على صلة بالعراق من خلال كلمات ولمسات عراقية تطعم شعره وكأنه من أرض الرافدين.

لقد استطاع ابن لعبون بجانب استخدامه للهجات متباينة أن يسخر أفكاراً وتعابير ومبادئ وأمثلة مختلفة من بيئات متعددة في قصائد وجدت لها قبولاً واستحساناً لدى الجميع، فنراه يضرب المثل السائر في نجد كما يضرب المثل من الزبير والعراق والساحل، ويبتدع المثل ويأتي بالعربي منه. ويسوق الحكمة أينما وجدها نجدية أو زبيرية أو من أي مصدر، وقد يبتدعها بلفظ غير مسبوق.

تهذيبه للمفردات.

استعان ابن لعبون بمفردات من لهجات محلية متباينة كثيرة في قصائده، بل وحتى في القصيدة الواحدة أو البيت الواحد، وقد تمكن ابن لعبون من تهذيب هذه المفردات ومزجها مع بعضها بتناسق وتناغم حتى كادت تطغى الكلمات الزبيرية على لهجته النجدية كما طعم أشعاره بكلمات كويتية وبحرينية وعراقية، وحتى الكلمات الأعجمية وجدت لها طريقاً إلى شعره. إننا لا نريد الاستشهاد بالكلمات النجدية لأنها تشكل جل شعره وكذلك الكلمات الزبيرية ونكتفي بالإشارة إلى ماسواها.

يقول ابن لعبون:

يالايمي به شوين شوين

عساه ياطاك بحصانه

وكلمة شوين هي من لهجات الشمال، وتعني على رسلك أو مهلك (شيئًا فشيئًا).

وقوله:

يفتخر حاشاك بالعظم الرميم

مفخر البزون بالسبع الغشوم

والبزون هنا عراقية تعني القط.

وكقوله:

يفتر عن فعل الدحاريج سوقه

اربع ليال مدلجات على ساق

والدحاريج ومفردها دحروجة في لهجة جنوب العراق هي البيض.

أما استخدامه لكلمات خليجية مثل قوله:

ياعلي صحت بالصوت الرفيع

ياماره لا تذبين الجناع

والجناع في لهجة أهل البحرين والساحل بشكل عام هو القناع، وهو ماتغطي به المرأة وجهها.

وقوله:

الساق الورك والفخذين

مابينهم فلقة الدانه

وفلقه الدانه اي المحارة من لهجة أهل الكويت وأهل الساحل بشكل عام.

وأدخل كلمات أعجميه فارسية وتركية شاعت في لهجة جنوب العراق وعربستان والساحل كقوله :

شومي رماك القدر بسهوم

وان راطنك خوب قولي له

وخوب كلمه فارسية كثيرة الاستعمال في جنوب العراق، وتعني طيب أو حسن.

يقـــرأ فـــرامـــيـــن علـى الخـــد وآيات

خـــط بقـــــــرطـــاس الدهـــر من دواتـــه

وفرامين كلمه تركية عثمانية مفردها فرمان أي مرسوم أو بيان .

تكـيّـفه مع اللهـجـات.

لقد ساير ابن لعبون أهالي الزبير والعراق والساحل في لهجتهم بإبدال نطق بعض الحروف بحروف أخرى مثل نطق الجيم ياء (مدلج = مدلي، هج = هيّ) والكاف جيم معطشة (باكر = باچر، كيس=چيس)، كما تنطق القاف جيم (قيل = جيل، قليب = جليب)

قـــالت ارى وارد عـلـى مـــاك مـــدلي

واظـن هـذا المـــســـتـهـام ابـن مـدلي

وهنا جناس فمدلي الأولى تعني أنزل دلوه من الدلاء أما الثانية فالمقصود بها مدلج أي ابن لعبون نفسه فهو ابن مدلج.

وقوله في إحدى نقائضه لابن ربيعة:

خـذ مـاتـراه وخل عنك الخـمـــاچيـر

من شـق جـــيـب النـاس شـــقـــوا وزاره

فالخماچير هنا تعني الخماكير أي الكلام غير المفيد.

ضربه للأمثال.

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد ابن لعبون من استشهد بمثل سار على ألسنة من حوله سواءً في نجد أو الزبير أو الساحل أو ما استحدثه ابن لعبون من مثل وصاغه شعراً أو حكمة صاغها أو نقلها شعراً موزونًا سار على ألسنة الناس في عموم المنطقة. وبهذا يكون ابن لعبون قد أثرى تراثنا الأدبي الشعبي بفيض من الأمثال والحكم، فقد صهر تجاربه وخبرته في الحياة وبثها بين أبيات قصائده، والأمثلة على ذلك كثيرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد الآتي.

يطلق ابن لعبون العنان لذم أقوام:

أهل العمايم والنمايم والأصحاب

مد الحبل في ذمهم واحتطب به

فقوله مد الحبل في ذمهم واحتطب به كأنه يقول بالعربية «حدث ولا حرج» وسامح الله ابن لعبون وغفر له فقد نهينا عن ذم العمائم أو التطاول عليها وعلى من تعمم بها.

ويضرب الأمثال، ويستخدمها :

الصدق يبقى والتصنف جهاله

والقد ما لانت مطاويه بتفال

فصدر هذا البيت غدا مثل يضرب وكذلك عجزه.

ويقول أيضًا:

تذكر مراكيض مضت لك هيهات

ماتنفع المذبوح طوله قناته

فعجز البيت مثل سائر.

ويقول أيضًا:

وســهام غــارات المـقــادير عـجــلات

مــاظنّهــا المظـلوم تســبق دعــاته

البيت كله مثل بشطريه.

ويقول أيضًا:

كـم حــط بالحــبــس من مظــلوم

ومـــا جـــاك من وادي ســـيــلـه

ويقول أيضًا:

ترى ذهاب النمل ســعيــه بتطييــر

خذ راســها ياللــي تجـشـمـت قـاره

سوقه للحِكم.

كما برع ابن لعبون بالاستشهاد بالأمثال وابتدع الجديد فيها، نراه قد طرّز شعره بالحكم مما شاع لدى العامة وسكبه شعراً، أو مما اكتسبه من خبرته ومعاناته خلال رحلته القصيرة في الحياة ماجعله خبيراً بصروفها وتقلباتها. وكما تناثرت الأمثال في قصائد ابن لعبون تناثرت الحكم، وعلى سبيل المثال نورد الآتي.

يقول ابن لعبون:

العـــز مـــايعني لــمن لا عنـا لـه

ياشــارب بكـفوف غـيره من أوشــال

الفن اللعبوني.

لقد مكنت الخلفية العلمية والثقافية لابن لعبون من الاعتداد بنفسه أولاً، ثم لوى عنان الشعر ثانياً، وبهذا تمكن من إضافة الجديد إلى الشعر النبطي، فقد تمكن ابن لعبون من إدخال أوزان التوقيع الغنائي، وهو فن استحدثه ابن لعبون وعرف باسمه وهو «الفنون اللعبونية» أو «اللعبونيات»[١][٢].

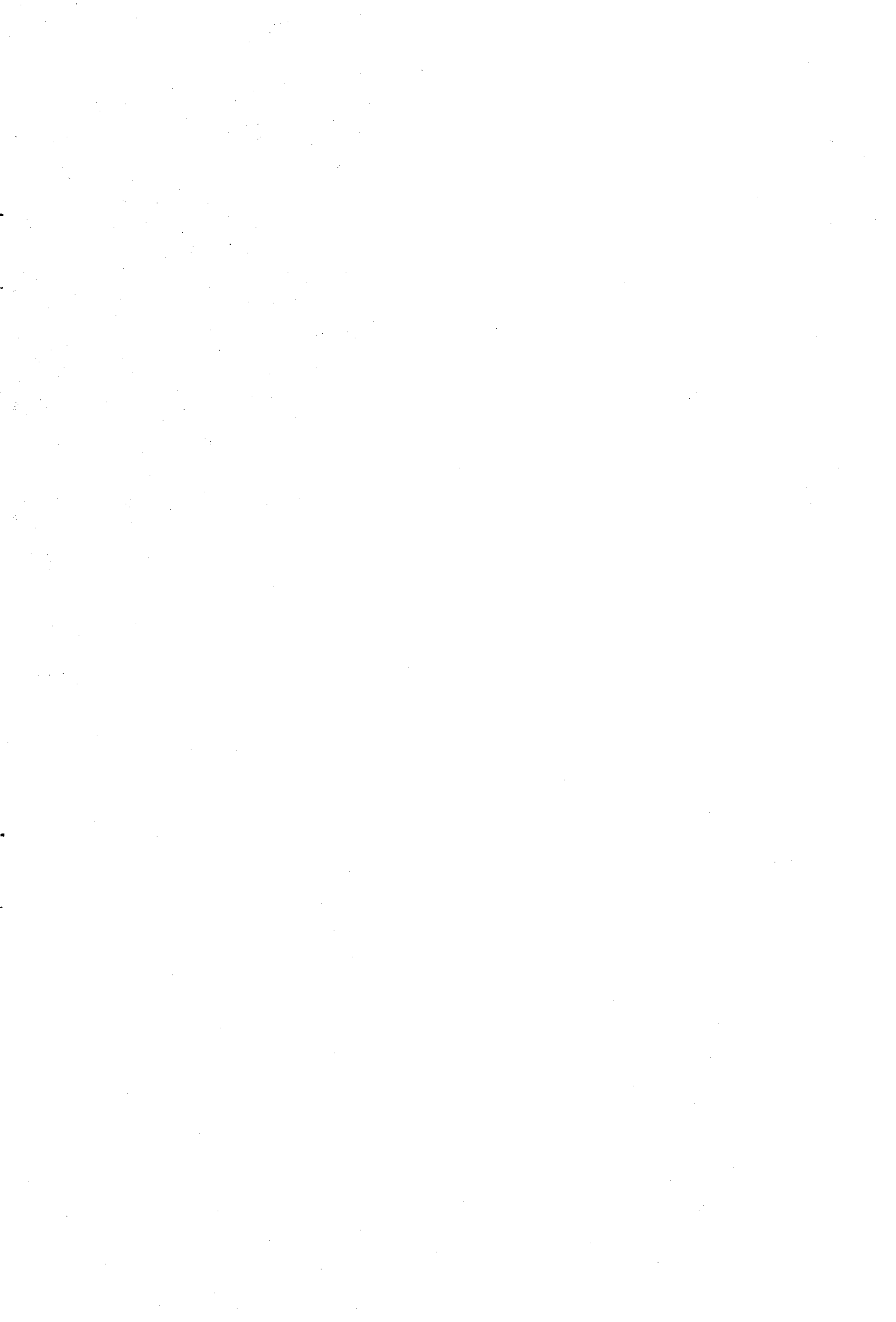
ويذكر ابو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري [٣] أن ابن لعبون شاعر غنائي وظهر أنه يلحن لنفسه ولكنه ابتكر الحاناً ضمن أوزان شعره الغنائي واستدل على ذلك بالتصاق ذكره بذكر الغناء الشعبي، فعندما يذكر العوام السمري واللعبوني والفن ينصرف الى ابن لعبون وشعره. لقد ابتكر ابن لعبون الحاناً عديدة منها اللحن اللعبوني على وزن الرمل وكذلك اللحن اللعبوني على بحر الهزج، وربما كان الهجيني القصير لأبن لعبون أيضاً فقد ذكر ابو عبد الرحمن «أما الهجيني القصير... فقد أكثر منه ولم أره عند غيره ممن قبله[٤]. ومن الحان ابن لعبون السامري على بحر السريع.

(١) خالد بن محمد الفرج، ديوان النبط ص ٤، المطبعة العربية- القاهرة.

(٢) أحمد المحيطيب، الفنون الشعبية في المنطقة الشرقية، مجلة القافلة، أرامكو، الظهران.

(٣) أوزان الشعر العامي بلهجة أهل نجد والأشارة الى بعض الحانه، مازن للطباعة، أبها، ١٤١٢هـ.

(٤) المصدر السابق.



الفصل الخامس

شعـــــر ابن لعــــبون

تطرق ابن لعبون في شعره إلى كل عناصر الشعر، وملك مقدرة على النظم في كل الفنون غزلاً ووصفًا ومديحًا وهجاء وشكوى وعتابًا ورثاء. وإن كان قد غلب على ماحفظه الناس عنه، وتغنوا به من شعر الغزل ومن الشعر «ماخف على الطار» إلاّ أن له شعراً بليغًا تحسبه من الشعر الجاهلي.

النسيب والغــزل.

يتعرض الشعراء للمرأة في قصائدهم إما غزلاً أو نسيبًا أو تشبيبًا، فالغزل التعرض للنساء لاستمالتهن، أما النسيب فهو الغزل وأخبار النساء. أما التشبيب فهو ذكر المرأة، وربما استعمل بعضهم هذه الكلمات بمعنى الغزل. وعادة مايصدر الشاعر قصيدته بالنسيب.

ومن صفات المرأة أو الحبيبة التي يتغنى بها الشعراء جمال العيون وفتورها، وطول الرقبة والتفاتتها، وضمور البطن، وكبر الكفل، وسواد شعرها وطوله واسترساله، وقد يتعدى الوصف إلى طيب رائحة الفم وحلاوة الريق.

ذكرنا أن ابن لعبون نهج منهج الأقدمين في استهلال قصائد المديح بالنسيب إلاّ أن ذلك الغزل ليس لذاته وإنما ليكون مدخلاً لما أراد. أما الشعر الغزلي عند ابن لعبون فهو الباب الذي دخل منه إلى قلوب الناس وجعلهم يحفظون شعره ويتغنون به، فمعظم قصائده كانت غزلية خفيفة على ألسن الناس والطار.

تعرض ابن لعبون في غزله إلى وصف محبوبته ومحاسنها وتوغل في ذلك، وأطلق لخيـاله العنان ليصف مـالا يوصف إلاّ تلميحًا أو كناية، وتغنى ابن لعبون بظعائن محبوبته وركائبها ومنازلها وأطلالها. لقد بالغ ابن لعبون في وصف محبوبته ففي الوقت الذي يصف الشعراء أحبتهم بالغزال لجمال عينيه ورشاقة جسمه وخفة حركته نجد أن محبوبة ابن لعبون لفرط جمالها غزالاً تهزأ بهذا الغزال فها هو يقول في أحد أبيات قصيدة توبته:

زل دهرك يا محمد بالغزل

والغزال اللي تهزأ بالغزال

وبينما يتغنى الشعراء بالطبيعة، ويشبهون أحبتهم بجمالها يخالفهم ابن لعبون في ذلك فيشبه ما في الطبيعة من جمال بالمرأة الجميلة فيقول عن تبسم الفجر:

الى أفتر بسام الفجر تقل خرعوب

تضحك على الداية فدنوا يعابيب

الوصف.

أبدع ابن لعبون في الوصف سواءً لجمال محبوبته أو مفاتنها أو ماحوله من عالم يدور حول محبوبته، ووصف الخيل والظعائن والحرب والرياض والأطلال والأحبة والرجال ووصف الأطلال وهي خوالٍ من ساكنيها فأبدع في ذلك أيما إبداع. وعندما يصف ابن لعبون وتقرأ وصفه كأنه لامرئ القيس أو أحد شعراء المعلقات، ومن ذلك قوله:

ضحوك اللمى مدموجة الساق كالقنا

هضوم الحشا مرتج الأرداف مهيافِ

الى قلت هاتي حاجة ودنقت

تنثر لها ظليل سافٍ على ساف

على مي جيد الريم والعين عينها

والخد كنه بدر الأنصاف بوصاف

الفخر .

للحماسة والفخر نصيب كبير في شعر العرب وإثارة قرائح الشعراء فدواعي الحماسة كثيرة منها الاستجابة للمستنجد، وإغاثة الملهوف، والذود عن الحياض، والانتصار للمظلوم، واستنفار الحلفاء والأصدقاء، ووصف الصراع والحرب، والتغني والتباهي بالانتصار. وللفخر دواعيه ليعزز الحماسة ويذكيها فالتغني بالخصال والتباهي بأفعال الشاعر شخصيًّا بحسبه ونسبه أو بأفعال قبيلته وأيامها وأمجادها، وقد يتعدى الشاعر حدود قبيلته ليفاخر بأمجاد بلده ومآثر قبائلها. كل ذلك يشحذ الهمم ويقوي العزائم لمواجهة المنافسين والخصوم ويشتمل الفخر على التحلي بكثير من القيم الأخلاقية كالبعد عن اللؤم والبخل، والصبر على المصائب والجوع والعطش، والتحلي وإباء الضيم، وتحمل أعباء الآخرين أو نوائب الزمان.

افتخر ابن لعبون بحسبه ونسبه ومآثر قبيلته كعادة معظم الشعراء وتعدى ذلك للتفاخر بأمجاد من دافع عنه وانتصف له وقد يتعدى ذلك إلى التفاخر بنجد ومآثر قبائلها، لعل أظهر ذلك ماجاء في معرض نقائضه لغريمه شاعر الزبير عبدالله بن ربيعة ومنها قوله:

حنا هل الوادي وحنا المناعير

وحنا ودينا جارنا من جداره

يشهد لنا جريس اليماني بتفخير

يومن عن اهل الدين محد أجاره

مـاحدرت وديـان بيشـة مـيـاسيـر

كل اليـمن بالسـيـف نملك اديـاره

عـند المجد انشـد ولد يام وامطير

وانشـد جماجم رءوسـهم عند واره

المديــح.

يتناول المدح بشكل عام أفراداً وقبائل، ويكاد يتفق الشعراء في معاني المدح ومنها الشجاعة والكرم والنجدة والوفاء ونجابة الأصل. وربما عمد الشاعر لمدح شخص لمنفعة خاصة أو تقديراً لكرمه أو مروءته وفي ذلك تشجيعًا له.

نحا ابن لعبون في استهلال قصائد المديح بما يستهل به شعراء العرب - الجاهليين منهم والمحدثين - قصائدهم. فقد جرت عادة الشعراء تقديم القصيدة بأبيات غزلية تعرف بالنسيب. كما ذكر ابن لعبون اسم ممدوحه صريحًا كاملاً اسمًا ولقبًا في قصائده، وربما ذكر الاسم الأول أو الأخير فقط أو كنى في قصائد أخرى. ومن أكثر من مدحهم الشيخ ضاحي بن عون وابنه أحمد بن ضاحي والأمير أحمد السديري. وفي المديح ركز ابن لعبون على صفات الرجولة والشجاعة والكرم، وربما بلغ المديح حد المبالغة في ذلك وهكذا هم معظم الشعراء. ومن مديح ابن لعبون قوله:

أصطى من الضـرغـام وأمضى عـزايم

وأقطع من الصمصام وأكرم من الديم

وتتجلى بلاغة ابن لعبون في معرض مديحه لأحمد بن ضاحي بقوله:

وقامت حروف الحمد وقف على أحمد

فـالألف والحا تشـمل الميـم والدال

الرثـــــاء.

إن كان «أعذب الشعر أكذبه» فإن أصدق الشعر هو الرثاء وخاصة مراثي الأقرباء من الأهل والأصدقاء، فعاطفة الحزن لفراق عزيز أو كريم أو شريف عاطفة صادقة وخاصة عندما يرثى قريب أو حبيب، وقد يرثي الشاعر نفسه ويعمد الشاعر في الرثاء إلى ذكر مناقب المرثي- بمعنى الثناء كالتي يعتمد عليها المدح، وقد يلزم الشاعر نفسه بوعود أو عهود للمرثي، ويختتم الشاعر مرثيته بالدعاء للمرثي بسقيا قبره وبالصفح والغفران له.

استحوذت مي (وهذا اسم مستعار لمحبوبته استعاض به عن اسمها الحقيقي الذي يروى أنه هيله) على قلب ابن لعبون وتفردت بذلك، وظل وفيّاً لها طيلة حياته وحتى بعد وفاتها، وقد رثاها برائعة ولم يردنا أنه رثى غيرها.

ومن ذلك مطلع مرثيته لمحبوبته التي ماتت في طريق الحج:

سقى صوب الحيا مزن تهاما

على قبر بتلعات الحجاز

الشكوى والعتاب.

لقد فرضت صُروف الحياة على ابن لعبون ظروفًا لا طاقة لمثله بها ولكنه تجلد وقاسى، وبثّ ذلك شعراً ففيه لنفسه متنفس وقد بعث لمن يثق به وبنجدته شاكيًا له ومستنجداً به، ويتمثل ذلك في قصائد معدودة خص بها الشيخ ضاحي بن عون وأحمد السديري.

ويتذمر ابن لعبون، رحمه الله، من حياته ويتمنى كالمعري أنه لم يأت إلى هذه الدنيا، ويلوم أبويه على ذلك فيقول:

لو باتمنى قلت ياليت من غاب

ولا حضر باللوح واللي كتب به

أمي وأبوي اللي رمـوني بالاسـبـاب

ياليتها بعـد الحمال أسقطت به

الهـجــاء.

تتعدد دواعي الهجاء لدى الشاعر وترتبط بعاطفته حسداً لشخص أو بغضًا به وانتقامًا منه أو انتصاراً لشخص مضام، وعادة ترجع أسباب الهجاء إلى خصومات فردية أو صراعات سياسية وخلافات قبلية، ويتعرض الزعماء والأشراف للهجاء أكثر من غيرهم. وقديمًا قالت العرب: «لازالت الأشراف تهجى وتمدح». ويتعرض الهجاء إلى معاني البخل والجبن والذل والهروب في ساحات الوغى، وأشد الهجاء ماكان عفيفًا وصادقًا.

وإن شاع بين الناس غزل ابن لعبون إلاّ أن للهجاء نصيب لا يقل أهمية عن الغزل لدرجة أنه ربما كان هنالك من تشابه بينه وبين الحطيئة، فقد هجا ابن لعبون وأبدى سخطه على كثير ممن حوله وأفحش في ذلك، فرغم محبته وإعزازه لأهل الزبير وأحلى أيامه التي قضاها بينهم في ربوعها إلاّ أنه عندما نفاه شيخها علي بن زهير[1] تنكر لها ولأهلها، وهجا شيخها وهجاهم وبالغ في ذلك، وكذا مع نديمه وصديقه الشاعر عبد الله بن ربيعة. إنها طبائع بعض البشر والشعراء خاصة. وكما هجا المتنبي حاكم مصر كافور هجا ابن لعبون شيخ الزبير وطال أهلها الهجاء فقال:

العـبـد عـبـد هـافـيـات عـمـوقـه

إن جاع باق عمومته وإن شبع ماق

ويقذع ابن لعبون في هجاء صديقه ونديمه ابن ربيعة ولكنه يستهل قصيدته بتوضيح أنه ليس من بدأ بالهجاء، فيقول:

(١) عبد الله بن خالد الحاتم ، أمير شعراء النبط محمد بن لعبون، البيان العدد الثاني .

البارحه سهر وادير التفاكير

في ذم نذل بادي بالعياره

وفي قصيدة ثانية يكرر ابن لعبون هذا المعنى عند هجائه ابن ربيعة فيقول:

يا بادي بالقول هذا بداله

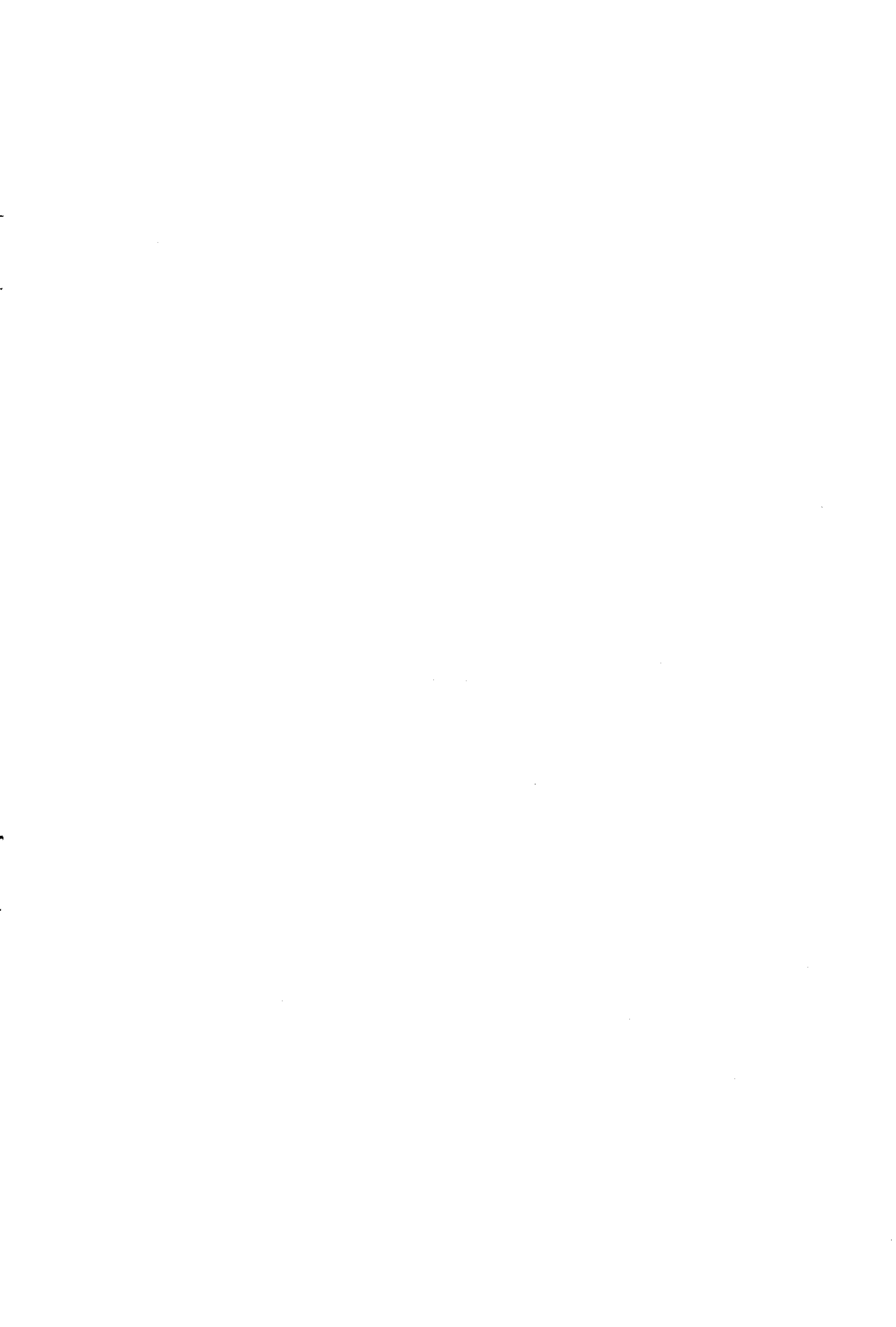
قول بدل قول ومال عوض مال

الحكمة.

للحكمة أثر في براعة الشاعر، قد يصوغها شعراً بين ثنايا قصيدته وفي هذا دلالة على حنكة الشاعر وخبرته وبعد نظره في معالجة الأمور وملمات الحياة، وقد أكثر الشعراء من ذكر الموت ومابعده، والسعي للمجد والسؤدد والرياسة والعز والشرف ومراتب العلى.

التوبة.

عادة مايختتم شعراء النبط حياتهم الشعرية أو حياتهم الدنيوية بقصيدة عصماء مؤثرة يتجلى فيها صدق مشاعرهم وخوفهم من الله ورجاءهم لمغفرته عما بدر منهم أيام غيهم وتغزلهم، وما اقترفوه من سيء أعمالهم، وتبعهم ابن لعبون في ذلك بقصيدة تُعَدّ من عيون شعره. ومع أن مقام هذه القصيدة كما ذكرنا التوبة إلاّ أنه لم يترك الغزل بعيداً عنها ففيها يتغزل ويجيد الغزل ويتفنن فيه، ولم تذهله رهبة موضوع القصيدة عن ذكر محبوبته. رحمك الله يا ابن لعبون وتقبل توبتك وأسكنك فسيح جناته وجميع موتى المسلمين.



الفصل السادس

البديع في شعر ابن لعبون

يجد المتمعن في شعر ابن لعبون أنه متمكن من اللغة، مطلع على خباياها، قارئ لجهابذة شعرائها سواء أكانوا من الجاهليين أو الإسلاميين، ولقد اقتبس منهم وحاكى نفسهم وقلدهم في حكمهم. وعرّج على ذكر أسماء بعضهم تلميحًا أو تصريحًا، وأخذ من بعضهم المعاني وصاغها بشعر نبطي بسيط المعنى، سلس الأسلوب، بعيد عن مفردات الفصحى التي يصعب على معظم من حوله فهمها. لقد بلغت ثقة ابن لعبون بنفسه أن ردّ معاني بعض فحول الشعراء عليهم، ومن أولئك امرئ القيس (انظر استدراكاته الأدبية).

وإليك جانبًا مما ذكرت عند الحديث عن بلاغته الأدبية.

شعره العاميّ الفصيح.

إن براعة ابن لعبون في الشعر النبطي لم تأخذه بعيداً عن لغته العربية الفصحى وهو المتمكن منها والضليع في آدابها، فقد جمع بين العامية والفصحى في قصائد نادرة هي شواهد على براعته. فعند ابن لعبون أبيات بل وقصائد يقرأها العامي فإذا هي من عيون شعر النبط، ويقرأها العربي المثقف فيحسبها من عيون الشعرالعربي، وتجد بين ثنايا شعره كلمات عربية بل شطور أبيات وردت في شعر الأقدمين وكأنها درر تطرز شعره على درايته بعيون الشعر العربي ومراتع شعرائه وأطلالهم.

هنالك العديد من القصائد التي تتضمن أبياتًا تقرأ بالفصحى كما تقرأ بالعامية بدون إضافة أو تعديل أي حرف فيها، وأن هنالك العديد من الأبيات التي تقرأ بالفصحى بعد تعديل حرف أو حرفين، وأبياتًا لا تحتاج إلا لتغيير كلمة واحدة لتقرأ بالفصحى، ويستطيع القارئ أن يلمس ذلك من خلال تصفحه لديوان ابن لعبون. وفي معرض التمثيل لا السرد نستشهد على ماذكرنا بأبيات من ثلاث قصائد:

الشعر الذي يُقرأ بالفصحى والعامية في شعر ابن لعبون بدون إضافة أيٍّ حرف:

يقول واصفًا محبوبته:

بخدٍّ ناعم منها وجيد

ورفرافٍ كما ريش النعامه

ويقول معرضًا بمن يلومه في الحب:

فكم لي عاذل من غير لُبٍّ

يُعرّض بالنصيحة والملامه

ويقول :

يلوح السنا فيها كما لاح زُرْقه

على خَدِّ مَيٍّ من بقايا وشومها

وقوله :

مرابيع ميٍّ قبل هذا وزينبٍ

وهند وليلى في مجاري رسومها

وقوله :

وهذي صـفـحـة الـقـرطاس عـندي

وقـــرِّبْ لـي دواةً يـاســـلامـــه

هذا؛ غير أنصاف الأبيات الشعرية التي تقرأ بالفصحى بعد تغيير حرف أو حرفين ومن ذلك:

قوله عن محبوبته:

بـجـــور دائـمٍ مـنـهـــا وَصَدٍّ

وهـجـــران إلـى يـوم الـقـــيـامـــه

وقولـه :

تروم الـبـقا فـيـهـا وترجـو لمثـلهـا

وهـذا غـراب الـبـين فـيـهـا يرومـهـا

وقوله:

وعـلـمـي بـهـم قـطـنًا عـلـى جَوٍّ ثادقٍ

سـقـاهـا مـرنات الـغوادي ركـومـهـا

وقوله :

ألا يا شـقـا قـلبـي من الـضيم والـعـنا

وصـفـق الـهـوى يامـي فـي كـل عـابر*

وقوله :

ألا يا طـبــيب الـهـنـد بالـلـه دوانـي

فـروحـي عـلـى جرفٍ من الـموت هـاير*

(*) يُتجاوز في صحة اللفظ من أجل الضرورة.

وقوله :

مواعـيدها بالقيض والـقيض منقضٍ

وهذي بـروق الوسـم مــثل الذخــائر

وهذان بيتان وهما ضمن الأبيات التي تقرأ بالعربية بعد استبدال كلمة أو حرف:

ودارٍ بنـاها والـقنا يـقـــرع القـنا

كما دار بالقطب الشمالي نجومها

وقوله :

عــساها تـمنيني بغـالـي تحـيـة

تُحْيي بهـا روحي وتجلو همومـها

وقوله :

ياعـاشقًا فـي بلدة الغرب غـربهـا

وياعـاشـقًا في بلدة الروم رومـهـا

وقوله :

وقـــالوا نال مـنهـــا مـــاتمـنى

وإن لـم أنـلْ إلا الـنــدامـــــــه

بلاغته الأدبية.

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد ابن لعبون من صدر بيت أو عجزه أو بيت بأكمله أو عدة أبيات من لفتات ذهنية أو براعة بلاغية أو توافق معانٍ أو كلمات أو غيرها من البراعات الأدبية. ومع أننا سنشير إلى تلك البراعات حيث ترد في الديوان إلاّ أننا سنورد هنا أمثلة قليلة على ما ذكرنا، وقبل ذلك نجد أنفسنا أمام تساؤلات حول مانعده من التضمينات والاقتباسات في شعر

ابن لعبون. ومن هذه التساؤلات التي تتبادر إلى الذهن سؤال هل هذه تضمينات واقتباسات من ابن لعبون لتلك الشواهد من شعر العرب أم أنها لفتات ذهنية وتوارد خواطر؟ إنها وقفة تساؤل جديرة بالدراسة والتمحيص وسنعلق على ذلك في مواضعه من هذا الفصل.

الرباعيات (المروبع).

جارى ابن لعبون شعراء عصره والأقدمين ممن اعتنوا بألفاظ الشعر ورونقه باستخدام القوافي المشتركة وهي ثلاث كلمات لها ثلاث معانٍ مختلفة، ويجوز للشاعر في اختيار هذه الكلمات وإن لم يكن رسمها واحد، وإنما المهم تشابه لفظها، وقد شاع استعمال هذا النوع من النظم في المنطقة، وكان الشاعر يستعين بكلمات عامية وعربية وأحيانًا كلمتين أو أكثر يلصقها ببعضها ليشابه نطقها الكلمات الأخرى ويسمي العامة وشعراء النبط هذا النوع من الشعر بالمروبع.

وابن لعبون استعمل هذا النوع من الشعر وبرع فيه، فله عدة قصائد ينتهي صدر وعجز البيت الأول وكذلك صدر البيت الثاني بكلمات لها النطق نفسه ولكنها مختلفة المعنى أما قافية البيت الثاني فهي كلمة أخرى، ويلتزم بها قافية للقصيدة بأكملها.

ومثال ذلك الآتي:

فاتن ورود من صوافي شنابه

ودي تقضى بالهوى من شنابه

أبا تجلد ياهلي من شنابه

الجمر معلومك بطانة فراشي

فالكلمات شنابه الثلاث تتشابه نطقًا وتختلف معنىً ورسمًا، فالأولى تعني بياض الأسنان والثانية شنأ به أي أبغضه والثالثة من شيئ أنا به أي مما أنا فيه. ويلاحظ كيف رسمت الأخيرة لتتناسب مع الأولى والثانية رسمًا ونطقًا.

توافق المعاني وتوافق الكلمات.

إن ابن لعبون وسعة اطلاعه تتجلى في توافق العديد من معاني أبيات شعره مع معاني أبيات لفحول شعراء الفصحى الجاهليين منهم والإسلاميين. وتخطى ابن لعبون مرحلة توافق المعاني إلى توافق الكلمات. فقد ورد في عدد من قصائد ابن لعبون كلمات وتعابير عربية لها ما يقابلها عند شعراء آخرين، كما ورد عند ابن لعبون تعابير استغرقت شطراً كاملاً نجد ما يماثلها عند غيره.

ونحن عندما نستعرض امثلة على مانقول نتسأل ما رأي الأدباء في توافق معاني وتوافق كلمات ابن لعبون مع الشعراء الآخرين؟

توافق المعاني.

نظم ابن لعبون العديد من أبيات الشعر التي تتوافق معانيها ومعاني أبيات من عيون الشعر العربي، ورب قائل: إنها من إنتاج خلفية ابن لعبون الثقافية، وسعة اطلاعه، وملكته الشعرية الأمر الذي مكنه من إعادة سبك شواهد الشعر العربي في قوالب عامية بسيطة سهلة المعنى، سلسة الأسلوب مفهومه للعامة؟ لقد توافقت معاني كلمات ابن لعبون مع معاني كلمات عند امرئ القيس والمعري والمتنبي والدارمي والدؤلي والنابغة وغيرهم في عدد من عيون أشعارهم .

وعلى سبيل المثال لا الحصر نسوق الآتي:

أبو العلاء المعري.

يتحسر ابن لعبون على أيام مرحه مع أحبته ولا يعدها شيئًا أمام ساعة فراقه لهم فيقول:

ضحكتي بينهم وأنا رضيع

ماسوت بكيتي يوم الوداع

إن بيت ابن لعبون هذا يوافقه في المعنى وينطبق عليه البيت المشهور لأبي العلاء المعرى:

إن حزنًا في ساعة الموت

أضعاف سرور ساعة الميلاد[1]

ويتحسر ابن لعبون غفر الله له بهذا البيت:

أمي وابوي اللي رموني بالاسباب

ياليتها بعد الحمال اسقطت به

وهذا البيت ينقلك إلى لزوميات أبي العلاء المعري بقوله:

هذا جناه أبي علي

وما جنيت على أحد[2]

مسكين الدارمي.

ويصف ابن لعبون العبد أو اللئيم بأدق وصف:

العبد عبد هافيات عموقه

إن جاع باق عمومته وأن شبع ماق

(١) سقط الزند ص ١٩٧.

(٢) اللزوميات ص ١٣.

وما أشبه هذا المعنى بقول مسكين الدارمي:

أو كـعـبـد الـسـوء إن جوعـتـه

سـرق الجـار وإن يشـبـع فـسـق

الـفـرزدق.

ويربط ابن لعبون الشعر بقائليه فيقول:

ازكـى الـشـعـر مـا قـالـه ازكـى الرجـاجـيـل

واردا الـشـعـر مـا قـالـه الـقـيـن واول

إن هذا البيت صورة أخرى لبيت الفرزدق:

وخـيـر الـشـعـر أكـرمـه رجـالا

وشـر الـشـعـر مـاقـال الـعـبـيـد

وها هو يصف بعضهم كالأسود والمدافع في حياة النساء والترف ولكنهم عند الملمات على غير ذلك:

ضـيـاغـم عـنـد الـخـوندات واطـواب

والـى ظـهـر بـعـد تـلـقـاه دبـه

وما أشبه بيت ابن لعبون بما قاله الشاعر عمران بن حطان السدوسي:

أسـد علـيّ وفـي الـحـروب نـعـامـة

ربـداء تـنـفـر مـن صـفـيـر الـصـافـر[1]

---

(١) منهل المستفيد من الشعر المفيد ص ٢٩، المؤلف عبد الكريم الحقيل.

وفي هذا شبه من قول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده

وإن الفتى بعد السفاهة يحلم

المتنبي.

ويلوذ ابن لعبون بالليل ليصل إلى محبوبته، ويطرده الصباح عنها بقوله:

أزورك وجلباب اسود الليل دفتي

وأصدر وحاشيه ابيض الصبح سروالي

وما أظن ابن لعبون ذهب بعيداً عن المتنبي:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي

وأنثني وبياض الصبح يغري بي[1]

وابن لعبون في مدحه لابن عمه أحمد ضاحي العون يقول:

ماسلّمت شمس الضحى منه بغروب

إلاّ لها من مطلع الشرق تأويب

وما أشبه ذلك بقول المتنبي يمدح كافور:

ولا تجاوزها شمس إذا شرقت

إلاّ ومنه لها إذن بتأويب[2]

جميل بثينة.

ويتذرع ابن لعبون بكل وسيلة لرؤية أحبته، ويقف عند بابهم متسولاً:

كم طرقت لبابهم عجل خجل

للطوافه وانت ماتبغى سوال

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي الجزء الأول ص ١٦١.
(٢) المصدر السابق، ص ١٧١.

وماهذا البيت إلاّ محاكاة لبيت جميل بثنية ونزوله مع الفقراء عند أهل بثينة:

أبيت مع الهلاك ضيفًا لأهلها

وأهلي قشيب موسعون ذوو فضل[1]

لبيد بن ربيعة.

ويتوب ابن لعبون، ويستهل توبته بحكمة بالغة فيقول:

كل شيء غير ربك والعمل

لو تزخرف لك مرده للزوال

إنه اتفاق رائع لفظًا ومعنى مع قول الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة في أصدق كلمة قالها:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل[2]

قال ابن لعبون:

الطالب أرهى من المطلوب

ومغالب الله مغلوب

وفي هذا البيت شيء من بيت كعب بن مالك الأنصاري:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها

وليغلبن مغالب الغلاّب[3]

(١) ديوان جميل بثينة ص ٦٧.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ١٣٢. وهذا صدر البيت قال عنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «أصدق كلمة قول لبيد ألاَ كل شيء ما خلا الله باطل».

(٣) كعب بن مالك الأنصاري ص ٧٣.

ويؤكد ابن لعبون وبشكل مختصر لطيف خفي أن مايقوله في محبوبته مي هو عين الصواب بقوله:

مقال فيه قالت حذاما

وشمس الحق تبزغ بامتيازي

ويربط ابن لعبون مقولته هنا بما قالته حذام الذي قال عنها الشاعر:

إذا قالت حذام فصدقوها

فإن القول ماقالت حذامُ

ويشير ابن لعبون إلى أن مابعد التمام إلا النقصان فيقول:

أرعى الهلال اللي بدا يوم حادي

ينمي ونقص البدر عند التناهي

وهذا كقول أبي البقاء صالح بن شريف الرندي:

لكل شيء إذا ما تم نقصان

فلا يغرّ بطيب العيش إنسان[1]

ويقول ابن لعبون:

فلو يمموني باسفل اللحد قبله

جوني لقوني يمة الشرق داير

فلا مقصدي في دين عيسى ابن مريم

دخول فلا كن يوم تبلى السراير

(١) منهل المستفيد من الشعر المفيد ، ص ١٢٤.

قيس بن الملوح (مجنون ليلى):

أراني إذا صليت يممت نحوها

بوجهي وإن كان المصلى ورائيا[1]

ومابي إشراك ولكن حبها

وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا

ابن لعبون:

اليك يا مي والأميال خلفها

صفوف تلبي فوق الأكوار ورحالِ

وفي هذا شبه من قول كثير عزة:

أناديك ما حج الحجيج وكبّرت

(بفيفا غزال) رفقة وأهلت [2]

وماكبرت من فوق (ركبة) رفقة

ومن (ذي غزال) أشعرت واستهلت

توافق الكلمات.

إن سعة اطلاع ابن لعبون جعلته يحاكي من سبقه من فحول شعراء الجاهلية والإسلام تتجلى في تضميناته للعديد من التعابير الشعرية عندهم، فتجد عند ابن لعبون ما يشبه بل يوافق ماعند أولئك الفحول من كلمات قليلة أو ربما صدر بيت أو عجزه، ويبني عليه ما أراده ومن ذلك تضمينات وردت عند امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى وأبي الطيب المتنبي وغيرهم من شعراء الفصحى.

(١) عشرين قصيدة حب ص ٥٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٨٨.

كما وضمّن ابن لعبون صدر بيت له في قصيدة في بيت آخر في قصيدة أخرى، وضمّن أيضًا من شعراء نبط آخرين.

تجد عند ابن لعبون تعابير ربما استغرقت شطراً كاملاً استعارها من غيره وضمنها وبنى عليها ما أراد. واليك أمثلة على ما ورد في شعر ابن لعبون من هذه التضمينات.

امرؤ القيس.

ومن توافق كلمات ابن لعبون مع ما ورد عند امرئ القيس يقول:

تبصر خليلي هل ترى من ضعاين

تقازن بهم فوق الشفا من حزومها

فصدر هذا البيت من قول امرئ القيس:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن

سوالك نقبًا بين حزمي شعبعب

وفي بيت آخر يقول ابن لعبون:

ينشدنني يوم انتوى الكل برحيل

هل عند رسم دارس من معول(1)

وفي هذا البيت شطر آخر ورد عند امرئ القيس:

وإن شفائي عبرة مهراقة

فهل عند رسم دارس من معول

(1) شرح القصائد العشر، ص ٩.

أبو الطيب المتنبي.

يقول ابن لعبون :

ودار اخــذهــا والقنا يــقـــرع الـقــنـا

كما دار بالقطب الشمالي نجومها

وفي هذا البيــت توافــق كلمــات جزئي مع أبي الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة:

بناها فــأعلى والقـنا تقــرع القنا

ومــوج المنــايا حــولهــا مــتــلاطم

محسن الهزاني.

يقول ابن لعبون:

وأشـــــــدني بــالــعــنــا يوم أفــلــســن

ربمـــا لـي أو عـــســى لي أو قــمـــين

وعجز هــذا البـيت توافــق تام مع صدر هذا البيت للشاعر النبطي محسن الهزاني:

ربمـــا لـي أو عـــســى لي أو قــمـــين

يرجــعـن عـــصـورهن الـمـاضـــيـات

أهي توارد خواطر

وتوافق معاني وكلمات أم اقتباسات؟ وتضمينات؟

قد يتبادر إلى الذهــن أن ما أوردنــاه من أمثلة هو نوع من السرقة، ولكن قــبـل إبــداء الرأي في ذلك سنســوق أمثلة لمن سبق ابن لعــبـون في توافق المعاني والكلمات من فحــول شعراء الفصحى. فهاهو زهير بن أبي سلمى قد سبق ابن لعبون في توافق كلماته مع صدر بيت لامرئ القيس في معلقته:

(١) شرح القصائد العشر، ص ١٠٦.

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن

تحملن بالعلياء من فوق جرثم[1]

ويوافق شاعر شاعراً آخر في صدري بيتين فيقول امرئ القيس:

كأنني لم أركب جوادًا للذة

ولم أتبطن كاعبًا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل

لخيلي كري كرة بعد إجفالي

ويوافقه في صدري هذين البيتين عبد غوث فيقول:

كأنني لم أركب جوادًا ولم أقل

لخيلي كري نفسي عن رجاليا

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل

لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

ولننظر إلى هذا التطابق بين هذين البيتين الأول من معلقة طرفة بن العبد والثاني من معلقة امرئ القيس؛ الأول:

وقوفًا بها صحبي على مطيهم

يقولون لا تهلك أسى وتجلد[1]

والثاني:

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم

يقولون لا تهلك أسى وتجمل[2]

البيتان لشاعرين مختلفين والكلمات متطابقة تمامًا ومعنى آخر كلمتين في البيتين متوافقتين في المعنى أيضًا.

---

(١) شرح القصائد العشر ، ص ٥٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٧.

بعد أن أوردنا القليل من الأمثلة على توافق الشعراء نعود للإجابة عن التساؤل المطروح سابقًا فنقول قد يرد شطر بيت أو تتطابق معاني بيت بأكمله وألفاظه أو بيتين عند شاعرين، ولم يعب أحد على أي من الشاعرين أو يصفه بالسرقة، فالعرب قد اعتادوا الاستعانة بعبارات يرددونها وغدت جزءاً من لغتهم، وكثيرة ماهي الكلمات التي تقولها العرب و تتكرر لدى الشعراء وعلى سبيل المثال قولهم:

ألا ليت شعري، أبيت اللعن، ألا عم صباحًا، ألا مبلغًا عنيّ، ياحر قلبي، يا لهف قلبي، ياصاح .

وكذلك عبيد بن الأبرص:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن

سلكن غميرًا دونهن غموض

ويقول المسيب بن علّس:

وإني لأمضي الهمَّ عند احتضاره

بناج عليه الصيعرية مكدم

ويقول طرفة بن العبد:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره

بعوجاء مرقال تروح وتغتدي(١)

ونعود لشعر ابن لعبون، ونقول إن كان ما أورده من توافق معانٍ وكلمات هو من باب توارد الخواطر فهذا دليل عبقريته، وإذا كان من باب الاقتباس فهذا من باب ثقافته وسعة اطلاعه وثقته بنفسه وكلا الحالتين له. فقد تمكن ابن

(١) شرح القصائد العشر، ص ٦١.

لعبون من إعادة سبك شواهد الشعر العربي في لهجة عامية بسيطة سهلة المعنى.

التكرار.

يكرر ابن لعبون عبارات معينة أو شطر بيت، ومثال ذلك ترديده لتعبير "حي المنازل" في مطالع تسع من قصائده ومنها:

حي المنازل بديم خزام

تحية الجار للجاره

حي المنازل وهن صفوف

أنحب عليهن وأهلهنه

حي المنازل تحية عين

لمصافح النوم سهرانه

وكان جرير بن عطية الخطفي قد ابتدأ أحد أبياته بهذا المطلع نفسه بقوله:

حي المنازل لا نبتغي بدلاً

بالدار دارًا وبالجيران جيرانًا

كما وكرر أكثر من شطر بيت في أكثر من قصيدة فقال:

ويا مي لي بك من قديم مودة

وصل الى انحل الدلى من وذمها

وفي قصيدة أخرى:

ويا مي لي بك من قديم موده

وصل الى انحلت جميع المراير

وقد يكرر شطرين في بيتين:

ضحوك اللمى مدموجة الساق كالقنا

خفوق الحشا مرتج الأرداف مكسال

الى قلت هاتي حاجة لي ودنّقت

تنثر لها مثل الشماريخ ميّال

في قصيدة ثانية له قال فيها:

الى قلت هاتي حاجة لي ودنّقت

تنثر لها ظليل ساف على ساف

وقد سبق ابن لعبون من فحول الشعراء من كرر تعابير وشطّر وبيت كاملً تقريبًا أكثر من مرة. فقد كرر امرئ القيس أكثر من شطر بيت له أكثر من مرة، ومن ذلك:

وقد أغتدي والطير في وكناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكل[1]

وقد أغتدي والطير في وكناتها

وماء الندى يجري على كل مذنب

وقد أغتدي والطير في وكناتها

بمنجرد عبل اليدين قبيض

وقوله أيضًا:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة

وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

له أيطلا ظبي وساقا نعامة

وصهوة عير قائم فوق مرقب

ويقول أيضًا:

(١) شرح المعلقات السبع للزوزوني ص ٣٩.

فعادى عداء بين ثور ونعجة

دراكًاولم ينضح بماء فيغسل

فعادى عداء بين ثور ونعجة

وتيس شبوب كالهشيمة قرهب

بل كرر بيتًا بأكمله تقريبًا :

ضليع إذا استدبرته سد فرجة

بضاف فويق الأرض ليس بأعزل

وفي قصيدة ثانية يقول امرؤ القيس:

وأنت إذا استدبرته سد فرجة

بضاف فويق الأرض ليس بأصهب

الكناية.

عمد ابن لعبون إلى الكناية للتعبير عن ما لا يصرح به عفة أو بلاغة، وتجدر الإشارة إلى أن ما نعدّه غير لائق من تعابير اليوم ربما لم تكن كذلك وقتذاك وما يقبله مجتمع من تعابير قد لا يقبله مجتمع آخر.

يتمادى ابن لعبون، رحمه الله، بصريح الوصف حتى إذا ما رأى أنه كاد يتجاوز الحد استعان بالكناية ليضفي على البيت بقية من حشمة كقوله:

الساق والورك والفخدين

مابينها فلقة الدانه

ومثال آخر قوله:

ياليت ياعالم بالحال

من دق شاله على الشيله

وفي هذا تمنيه من الله أن تلتقي الشاله وهو غطاء رأس الرجل (كوفية، غترة، شماع وغيرها) مع الشيلة وهي غطاء رأس المرأة وفي هذا كناية فالشال والشيلة لا يلتقيان إلاّ في حالات معينة منها العناق.

ويقول:

مـحـصـنات مـا عـلـقـهـن الدبق

مـاكـشـف غـراتهن كـود الابريق

ويقول أيضًا:

عـفـيف الجيـب ما داس المـلامـا

ولا وقف فـي طرق الـمـخـازي

فما علقهن الدبق في البيت الأول كناية عن حسن السمعة والسيرة، وعفيف الجيب في البيت الثاني تعني الطهارة والعفة.

استدراكاته الأدبية.

وتظهر براعة ابن لعبون في الوصف وانتقاء الكلمات وربطها بمعانيها جلية واضحة في شعره، فهاهو يصف شخصًا مدبراً هاربًا تتبعه، أطراف ثوبه فيقول:

وأقـفـى مصـيّر كن جـاكـات شـالـه

جلمود صخـر حطه السيل من عال

إها تضمينية واضحة لشطر بيت مشهور لامرئ القيس، وهذا ماقد يجعل أحدهم يعلق على عجز هذا البيت بأنه لامرئ القيس، وكأنني بابن لعبون يجيبه وبكبرياء المتعلم الواثق من نفسه، نعم إنه لامرئ القيس، يصف حصانه بأنه مكر مفر مقبل مدبر معًا كالجلمود إذا حطه السيل من علٍ، وهذا الوصف ليس بدقيق فعندما يحط السيل صخراً من عل يهوى إلى القاع لا كرّ له ولا فر، ولله درك يا ابن لعبون وباعد الله بينك وبين امرئ القيس في الآخرة[١] مثلما باعد بينك وبينه في الدنيا.

(١) ورد في الحديث الشريف أن امرئ القيس حامل لواء الشعراء في جهنم والعياذ بالله.

لفتاته الذهنية.

يبدع ابن لعبون، ويأتي بالجديد فيما لم يسبق إليه ففي هذين البيتين يناجي أطلال حبيبته ويتعداها إلى الصدى فيقول:

أسايل حجار الدار عن نزل حيّها

ولا جابني ملتمّ الاحجار بسوالي

اسأل الصدى: ياللعجب هل لهم تالي؟

قال الصدى: ياللعجب هل لهم تالي؟

يسأل ابن لعبون أحجار الدار فلا تجيب ولن تجيب سؤاله، وهذه حقيقة ويسأل الصدى ولابد للصدى من أن يجيب وهذه حقيقة أخرى، ولكن كيف كانت إجابة الصدى على تساؤل ابن لعبون؟

إنها لفتة ذهنية غير مسبوقة فقد كرر الصدى ماسمعه من ابن لعبون وهذه طبيعة الصدى يردد ماقيل «ياللعحب هل لهم تالي؟» وهذه اللفتة -كما نظن- لم ترد في شعر شاعر نبطيّا كان أو فصيحًا سبق ابن لعبون أو عاصره.

تضميناته البلاغية.

ولابن لعبون اقتباسات من القرآن الكريم والحديث الشريف استعان بها في شعره وحسبه بها من استعانة، كقوله :

جانا يتخنطل، يمشي على الطل

بير معطل، وقصر مشيد

وهذه من قوله جلت قدرته: ﴿بئر معطلة وقصر مشيد﴾.[1]

وقوله يصف حربًا:

(١) الحج : أية ٤٥.

ترمي شـررها مـثل صـفر جـمـالـه

والبـيض تنخى والـمـناعـيـر ذلال

وهي من قوله عز وجل: ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالت صفر﴾[1]

أما قوله وصفًا للحواجب والعيون والخدود فيذهب بذلك بعيد فيما استشهد به في قوله:

حـدر الحـواجب لـمـيع سـيـوف

والـسـيـف بظـلالـه الـجنـه

وهذ تورية بديعة عن الحديث النبوي الشريف «الجنة تحت ظلال السيوف»[2] وابن لعبون، غفر الله له، أراد بهذه التورية معنى آخر وهو أن تحت الحواجب عيونًا تلمع كالسيوف لشدة سوادها وبياضها وفي ظلالها وتحتها خدوداً كالجنة.

استشهاداته الخفية.

ويستعين ابن لعبون بأمثال عربية يضمنها شعره مباشرة أو يستعيض عنها بما يصوغه من كلمات تفيد معناها من طرف خفي قد لايفهمها عامة الناس ولا يلتقطها إلاّ الضليع بلغة العرب وآدابها. ومن ذلك عندما تستشهد العرب عند ذكر الوفاء بالسموأل فتقول فلان «أوفى من السموأل» أو «كوفاء السموأل» ويستعين ابن لعبون بذلك بقوله:

إن واعدنيّ بالوصل في دجى الليل

يافن كـمـا تافي عـهود السـموّل

ويعرج ابن لعبون على ذكر شاعر فحل في طرف بيت من رباعية ومن طرف

---

(١) المرسلات : أية ٣٢-٣٣.

(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي والحاكم في مستدركه عن أبي موسى الأشعري، انظر صحيح الجامع للألباني رقم ١٥٣٠- ٣١١٧.

خفي لا يكاد يحس به أحد فيقول:

لاقت ولاقني العماهيج بسعاد

خراعب اللي وصفهن بان بسعاد

واليوم يوم اشفيت قالن بسعاد

ركبن لي خيل التصاديد برخوت

انها من روائع فمن ذا الذي وصف الخراعيب ببان بسعاد ؟ إنه من استهل قصيدته ببانت سعاد إنه كعب بن زهير بن أبي سلمى صاحب البردة على من أهداها السلام.

بديع اللغة.

طرز ابن لعبون قصائده وزينها بحلائل بديع اللغة الجميلة ففي قصائده الجناس والطباق والمقابلة والاستعارة والكناية وغيرها، وأبدع في الاستهلال والاختتام وربما أغرق في الصنعة وتكلف، ومع ذلك بقيت قصائده جميلة سلسة.

ويتكرر البديع في شعر ابن لعبون، ومن ذلك بديع الجناس الكامل في قوله:

غانيات عانجات لي تروم

كنهن في كنهن بيض النعام

كنهن الأولى عامية بمعنى كأنهن والثانية خدرهن. والأمثلة على هذه كثيرة في ثنايا قصائده.

ذوات القوافي.

ذوات القوافي هي القصائد التي تنظم بوزنين وقافيتين، وابتدع لها هذه التسمية مصطفى صادق الرافعي، وأطلق عليها ابن حجة الحموي في «خزانة

الأدب» اسم التشريع، وأسماها ابن أبي الأصبع بالتوائم[1]، صاغ ابن لعبون العديد من ذوات القوافي، ومع ماتحتاج إليه هذه القصائد من صنعة على حساب متانة القصيدة إلاّ أن ابن لعبون أخفى أثر تلك الصنعة والتكلف بحيث إنها إضافة إلى القصيدة جرسًا ورونقًا. وهذا مطلع قصيدة ذات وزنين وقافيتين من شعر ابن لعبون:

مـا لـون يا قلب دوى . بـه جـراح

بهداك لي ما ترعوي . قـول نصاح

المهملة.

من ألوان البديع التي أضفاها ابن لعبون على شعره. نظمه لقصائد تخلو جميع حروفها من النقاط وبذلك يكون ابن لعبون قد حاكى صفي الدين الحلي والحريري في نظم المهملات، ومع ماقد يسببه نظم مثل هذه القصائد من أثر على حساب المعنى إلاّ أن ابن لعبون جمع بين هذا البديع وبديع معنى قصيدته المهملة التي تعد من عيون شعره والتي مطلعها احمد المحمود:

احـمـد الـمـحـمـود مـا دمع همل

وعـدد مـا حـال واد لـه وسـال

ارتجاله للشعر.

كثيراً مايرتجل ابن لعبون الشعر حال الحاجة إليه، ومن ذلك أنه كانت تربطه صداقه مع شاعر البحرين عبد الجليل الطبطبائي، وكانا يتراسلان شعراً ولم ير أحدهما الآخر وعندما ذهب ابن لعبون إلى البحرين قصد منزل صديقه، وكان الشاعر عبد الجليل في صدر مجلس والمجلس مليئًا بالناس فما كان من ابن لعبون إلاّ أن جلس في طرف المجلس على مضض منه، وعندما قام صاحب

(١) بكري شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ص١٨٦.

المجلس لغرض له داخل المنزل وعاد مر على ابن لعبون وهو لم يعرفه فانتهز ابن لعبون مروره فنطق بهذين البيتين مازحًا ومستفزاً ومختبراً نباهة صاحبه:

جـانا يتـخنطـل

يـمشي علـى الـطـل

بيـر مـعـطـل

وقـصـر مشـيـد

وهنا انتبه عبد الجليل لهذا الضيف وذكر بهذين البيتين ابن لعبون وشعره وظنه هو بعينه فرد عليه بالشعر نفسه متسائلاً فقال:

دوبـك تـفـتـل

وأنـت الـتـنـقـل

قـل لـي أأنـت الـ

حـكـيم الرشـيـد

وعندها تعارف الشاعران واحتفى عبد الجليل بضيفه الشاعر ابن لعبون وقرّبه منه في صدر المجلس.

ابن لعبون والشعراء اللاحقون.

وإذا كانت خواطر ابن لعبون قد تواردت مع من ذكرنا ممن سبقه من الشعراء أو توافقت معانيه مع معانيهم فما عسانا أن نقول مع توارد خواطر؟ أحمد شوقي مع ابن لعبون. فها هو ابن لعبون يقول:

وصلك إلاّ رامه عـزيز تمنع

وهو مثل بقل الدوح ينبت بالاطلال

وكأن أحمد شوقي أخذ هذا المعنى من ابن لعبون فقال:

أحـــــرام عـلـى بـلابـلـه الـدوح

حـــلال للطـيـــر من كـل جـنسٍ

بدر شاكر السياب.

وهذا هو الشاعر بدر شاكر السياب وكأنه قد اطلع على التفاتة ابن لعبون الذهنية غير المسبوقة:

أسايل حجـار الدار عن نزل حيّها

ولا جابني ملتمّ الاحجار بسوالي

اسأل الصدى: ياللعجب هل لهم تالي؟

قـال الصـدى: ياللعـجب هل لهم تالي؟

فيحاكيها بقوله:

أصـــيـح بالخـلـيـج ياخـلـيـج

يا واهب اللؤلؤ المحـار والردى

فـيـرتد الصـدى كـأنه النشـيـج

يـا واهب الـمـحـار والـردى

الفصل السابع

الأماكن والأسماء عند ابن لعبون

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد ابن لعبون من ذكر اسم علم تصريحًا أو تلميحًا أو كنية أو معلم جغرافي بلد أو نهر أو وادٍ أو جبل أو أثر. يحدد ابن لعبون بعض الأماكن من خلال تحديد مايحيط بها من معالم.

الأماكن.

تكرر عند ابن لعبون وصف الأماكن وخاصة تلك التي تربطه بمحبوبته فها هو يصف منازل حبيبته «مي»[1] وصفًا دقيقًا يستدل به من لم يعرفه:

يامنازل ميّ عن قبة حسن

من يسار وعن قبر طلحة يمين

وقبة حسن يقصد بها قبر الحسن البصري، رحمه الله، وقبر طلحة هو طلحة ابن عبيد الله، رضي الله، عنه وكلاهما دفنا في مدينة الزبير، الأول في المقبرة

---

(١) يرى كثير من الناس أن هذا المكان هو الموقع الذي دارت فيه رحى معركة الجمل حيث عقر خزام جمل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. يفند الصانع والعلي ص ٢١٥ هذا الرأي.
لأسباب عدة أهمها:
١- ليس لهذه الرواية سند تاريخي. ٢- أن جمل عائشة، رضى الله عنها، يدعى عسكراً وليس خزامًا.
٣- لم تنحصر معركة الجمل في مكان واحد بل شملت مساحة شاسعة.
ويفسر الصانع والعلي تسمية الموقع بديم خزام أن هنالك طريقتين لزراعة الحنطة الأولى ديمًا ويسمى بعلاً اعتماداً على الديم أو المطر، والثانية سيحا ويعتمد على الري وكان أحد المزارعين واسمه خزام زرع حنطته ديمًا واختار هذا الموقع وكان منخفضًا تتجمع فيه مياه الأمطار وأصاب خيراً بينما تلف زرع أصحاب السيح في ذلك الموسم فقال الناس «ديم خزام غلب سيح الجماعة» وذهبت مثلاً وسمي الموقع بديم خزام.

المعروفة باسمه، والثاني خارج المدينة إلى قارعة الطريق المتجهة إلى البصرة.

ويذكر (دم خزام) وهو اسم لمكان في مدينة الزبير يقال إن خزام جمل عائشة، رضي الله عنها، عقر فيه، وعاميًّا يقال لهذا الموضع ديم خزام:

حي المنازل بديم خزام

اتحيه الجار للجاره

ويذكر موضعًا آخر قرب الزبير فيقول:

فوق الأميلح قطين خيام

مضروبة دار ماداره

ويستغرق في وصفه لمواقع في جزيرة العرب فيقول:

يا هل العيرات مامنهن عجاف

رابيات بنجد في هيت وريف

من جبل تيما الى حد الاحقاف

من خشوم طويق لبطانة عفيف

هاينات كالمها زرق الخفاف

من بنات عمان ممشاهن خفيف

ويقارن بين الشام والقطيف:

بالبعاد وكيف يقضي بايتلاف

حاجه بالشام ناس بالقطيف

فيذكر ابن لعبون أماكن وقرى في نجد، ومن ذلك في إحدى نقائضه لابن ربيعة:

واقفيت تشتم للصفرات والبير

تقول عود جيتي خساره

وفي مدحه للأمير أحمد بن محمد السديري:

غامدات نجد من بعد المساف

خاصات الغاط من نجد المريف

ويدعو لثادق مسقط رأسه ولأهلها فيقول:

علمي بهم قطن على جو ثادق

ساقاها مرنات الغوادي

ويأتي على ذكر سدير بقوله:

الى حيث في وادي سدير فخلّها

تذب العفا مافقها الاّ وسومها ركومها

ومرة ثانية يصف ابن لعبون منازل ميّ:

يامنازل ميّ في ذلك الحزوم

قبلة الفيحا وشرق من سنام

فالفيحاء هي البصرة وسنام جبل معروف بين الزبير والكويت وهو للزبير أقرب.

ويقول أيضًا:

حي المنازل يمين اطلال

شرق العقيلة الى هيله

العقيلة وهيله مسميات لمناطق بين الزبير وخور عبد الله المعروف عند أهل الزبير بالمجدم.

ويقول :

حي المنازل على الخابور

من حوض فلوان الى البقشة

الخابور، حوض فلوان، البقشة (كلمة عثمانية تعني الحديقة أو البستان) وهي أسماء أماكن بالزبير.

وتمضي السنون التي عاشها ابن لعبون في دار ابن عوام أي مدينة الزبير سريعة، ويتحسر على ذلك بقوله:

ياسنين لي مضت مثل الحلوم

كنهن في دار ابن عوام عام

وفي الكويت ذكر وارة مفاخراً فقال:

عن المجد انشد ولد يام ومطير

وانشد جماجم روسهم عند واره

وفي البحرين يأتي على ذكر جال الرفاع:

يوم أهلنا واهل مي جميع

نازلين على جال الرفاع

وذكر البصرة في إحدى نقائضه لابن ربيعة:

ولولا حمود هو وداود شاله

مااستملك البصره وبذله للأموال

ويأتي ابن لعبون في قصيدة له على ذكر شط العرب بقوله:

لورميت به الذي لك من خصيم

ماجرى شط العرب غير الدموم

واستشهد بعذوبة النيل فقال:

وبحر كنه الدر واحلى من النيل

اضحى بعينه كالسراب يتحوّل

وينسب ابن لعبون رجال لبلدانهم كقوله:

اترعن كاس الهوى لي واندفق

كاس عذري الهوى راعي الحريق

وراعي الحريق إشارة إلى الشاعر محسن الهزاني، هو من بلدة الحريق بنجد.

الأسماء.

ردد ابن لعبون عدداً من الأسماء منها ما هو مستعار ومنها ما هو صريح لأشخاص معروفين ذكرهم بأسمائهم وكناهم، وسنضرب على ذلك مثلين الأول لاسم محبوبته المستعار والحقيقي، والثاني ذكره لأسماء من مدحهم أو هجاهم.

وتكررت اسملء لنساء في شعر ابن لعبون منها لطيفه (أخو لطيفه)، قوت، سعاد، مريم (أخو مريم)، سلمى، زينب، هند، ليلى، فريجه(ربابته)، ساره، وضحى (ولد وضحى).

ومن الأزهار والنباتات العطرة ذكر ابن لعبون الجثجات، الرمث، الحزا، الزهر، الشيح، والقيصوم، البختري، والخزامى.

سي: وقديمًا لجأ الشعراء إلى تسميات استعاروها لأحبتهم ولسان وأحدهم يقول:

أسميك سعدى في نسيبي تارةً

وآونة اسماء وآونة لبنى

حــذارًا مـن الـواشـــيـن ان يـسـمــعــوا بـنـا

والاّ فــمـن ســـعـــداى لديك ومــن لـبـنـى

وهي حال ابن لعبون مع مي فمن هي مي؟ هي اسم مستعار استعان به ابن لعبون لمناجاة حبيبته.

هيلــه: الاسم الحقيقي لمن تعلق بها قلب ابن لعبون.

أسـمـاء أخـرى.

لقد ذكر ابن لعبون أسماء رجال مدحهم مثل ضاحي العون وابنه حمد أو أحمد بن محمد السديري، وآخرين هجاهم كغريمه عبد الله بن ربيعة الذي ذكره مرة بعبيد، وبابن ربيعة مرة أخرى، وربما قصد ابن ربيعة بقوله ابن عايد، أو زيد الربيعة وأخيه عبد الله ومن المسئولين العثمانيين في العراق ذكر الوالي العثماني في بغداد وهو داود باشا. كما ذكر كاظم آغا المتسلم العثماني على البصرة، وربما قصده بقوله راعي الوكالة.

ومن شيوخ الكويت ذكر الشيخ جابر بن عبد الله الصباح مرة باسمه جابر، ومرة أبو صباح، وأخرى أخو مريم. ومن آل سعود ذكر مقرن، وتركي، وثاقب، ومن أمراء المنتفق ذكر حمود بن ثامر السعدون وابن صلال من فرسان المنتفق.

واستشهد بذكر أسماء ربما لا وجود لشخوصها وذلك لما اقتضته ضرورة القصيدة مثل صالح وعبد اللطيف. كما أشار إلى رجال من طرف خفي في معرض استشهاده بالسموأل، ولم يذكر أسماء إنما استشهد بما يفيد ذكر أسمائهم كقوله: خراعب اللي وصفهن (بان) بسعاد يقصد به كعب بن زهير بن أبي سلمى، رضي الله عنه، وقوله: (عن لذة الكندي على ماي ماسل) ويقصد بالكندي هنا امرئ القيس، وقوله أيضًا: (كاس عذري الهوى راعي الحريق)

ويريد به محسن الهزاني. وذكر الزناتي خليفة بقوله: (وصابه مثل ماجا الزناتي بالأمثال).

وأسماء كرر مناداتها أو الاستعانة بها ربما رمزاً أو لأشخاص حقيقيين مثل ابن جلق، وصاحبيه عواد وعلي اللذين اختلف الرواة في حقيقتهما.

الكنى.

عمد ابن لعبون إلى الكنية عند ذكره لعدد من الأشخاص مثل: أخو لطيفة، أخو مريم، أبو صباح، أبو مالك، أبو سالم، أبو إبراهيم، بنت بنقير، ابن عايد، راعي الوكالة. أما فيما يتعلق بنفسه فقد صرح ابن لعبون بذكر اسمه محمد أو استعار بذلك بقوله ابن حمد أو ابن مدلي (مدلج) ومرة ذكر ابن لعبون، وربما قصد نفسه بقوله اخي لطيفة، وكذلك راعي المنظوم وبارع الزين أما فريجة فهو اسم ربابته التي كان ابن لعبون يلجأ إليها «لتفرّج» همومه، ويبثها لواعجه وأشجانه وغرامياته[١].

الأنبياء والملائكة.

ورد في شعر ابن لعبون ذكر عدد من الأسماء التي وردت في القرآن الكريم كذكره لأسماء عدد من الأنبياء، عليهم السلام، واختتم عدداً من قصائده بالصلاة والسلام على الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، ومن أسماء الأنبياء الذين ذكرهم: يعقوب ويوسف وأيوب ويونس، عليهم السلام، ومن أسماء الملائكة الذين ذكرهم هاروت وماروت وجبريل وميكائيل، وذكر ابن مريم كناية عن عيسى، عليه السلام.

---

(١) راعي المنظوم: يقصد بها نفسه، بارع: الزين.



الفصل الثامن

رأي الشعراء والأدباء في ابن لعبون

ذاع صيت «ابن لعبون» وانتشر في نجد والخليج والعراق حتى فاق ذكر أبيه العلأمة والمؤرخ والنسابة الشيخ «حمد بن محمد بن لعبون» الذي صنّف العديد من المخطوطات التي منها «تاريخ ابن لعبون» وهو من أهم مصادر التاريخ في نجد، وقد بـزّ «ابن لعبون» أقرانه من شعراء النبط حتى تسابق وتفنن من كتب عنه أو روى له في تقليده ما استحقه من ألقاب تليق بما ارتقى إليه شأنه في مجال الشعر.

ابن لعبون: متنبي شعر النبط - أمير شعراء النبط

قارن أحد فحول شعراء الأحساء الشاعر محمد بن لعبون بغيره من الشعراء الآخرين فقال مقولة غدت مثلاً يقال وهي: «غير ابن لعبون كلهم يلعبون»[١]. وعندما كتب «خالد ابن محمد الفرج» عن «ابن لعبون» وصفه بأنه «متنبي شعر النبط»[٢] أما «عبدالله خالد الحاتم» فقد أضفى على «ابن لعبون» لقبًا استحقه بجدارة وهو «أمير شعراء النبط» فجعل بذلك منزلة ابن لعبون في شعر النبط ما أنزل بعضهم شوقي من منزلة في الشعر الفصيح، ويبرر ابن حاتم رأيه هذا بقوله «والشاعر محمد بن لعبون بين شعراء النبط كالسنام من الجمل

---

(١) عبد الله بن خالد الحاتم، خيار مايلتقط من شعر النبط، ١/ ٢٥٦.
(٢) خالد سعود الزيد، خالد الفرج حياته وآثاره ص ١٨٣.

أو كالقمة من الجبل»[١]، وبمقارنة ابن لعبون بالشعراء الآخرين يقول ابن حاتم «ولكن ابن لعبون يختلف عنهم في الجودة ودقة الوصف في معظم أشعاره إلى جانب إجادته التامة في كل ميادين الشعر في المديح والهجاء والغزل والشكوى وغير ذلك مما يندر اجتماع مثل هذه الصفات في شاعر واحد، هذا بالإضافة إلى إقبال الناس الشديد واهتمامهم بأشعاره في زمانهم وبعده، حتى يومنا هذا».

ويبدي الأديب عبداللطيف البابطين صاحب «طرائف الكلام» رأيه في ابن لعبون بقوله: «كان ولعه بالشعر النبطي والأدب الشعبي سببًا في نبوغه وبروزه في هذا الميدان حتى أصبح شاعر الهوى والشباب يسيل شعره رقة وعذوبة، وسلاسة وملاحة، وقد أبدع في الناحية الغزلية وأمتع، وأصبح زعيم هذا الاتجاه وحامل رايته».

لم تمنح هذه النعوت والألقاب لـ«ابن لعبون» جزافًا، وإنما هي منتج لما تجسد في شعر ابن لعبون من متانة وعذوبة ولثقافته وسعة اطلاعه، وماتحمله شخصيته من قوة ومرح وخفة ظل.

أما في وقتنا الحاضر فما زالت أقلام وألسن شعراء النبط تردد ذكر ابن لعبون، وتستشهد بأشعاره وكما تغنى من عاصر ابن لعبون بكلماته، وألحانه يتغنى الكثير بها في وقتنا الحاضر، عفا الله عنا وعنه وعنهم.

وعندما فكرت بعنوان لكتابي هذا عن الشاعر ابن لعبون استحسنت أحد الألقاب التي وصف بها ابن لعبون بتسميته أمير شعراء النبط، وتجدر الإشارة أن هذه التسمية ليست حجراً على أحد أو قصراً على زمن.

---

(١) عبدالله بن خالد الحاتم، محمد بن لعبون، أمير شعراء النبط، البيان العدد الأول، ص ٦٠، أبريل ١٩٦٦م والعدد الثاني.

مصادر الكتاب:

١- إبراهيم بن صالح بن عيسى/ **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد** ، الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٦.

٢- أحمد المحيطيب/ الفنون الشعبية في المنطقة الشرقية، **القافلة**، العدد الظهران.

٣- أبو الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، بيروت: دار المعرفة.

٤ - أبو العلاء المعري/ **سقط الزند**، تحقيق أحمد شمس الدين،بيروت دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م الطبعة الأولى.

٥ -أبو العلاء المعري/ **اللزوميات : لزوم ما لا يلزم**، تحقيق عمرأبي النصر، بيروت : دار الجيل، ١٩٦٩.

٦- أبي الفرج جمال الدين بن الجوزي/ كتاب المدهش، دراسة د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت: الطبعة الأولى ١٩٨١م - ١٤٠١هـ.

٧- حسن سعيد الكرمي/ **قول على قول**، الأجزاء ١، ٢، ٣. بيروت دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

٨- حسين سرحان/ اللفتات الذهنية في شعر ابن لعبون، **مجلة العرب**، جزء٩، س٢ ، ربيع الأول ١٣٨٨هـ، حزيران (يونيو) ١٩٦٨م.

٩- حمد بن محمد بن لعبون/ بنو وائل ونسب آل مدلج تحقيق الشيخ حمد الجاسر، مجلة **العرب** جزء ٧و٨ س ١٦ ، محرم وصفر ١٤٠٢هـ /نوفمبر و ديسمبر ١٩٨١م.

١٠- حمد بن محمد بن لعبون/ **تاريخ ابن لعبون**، الطائف: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ.

١١- خالد سعود الزيد/ **خالد الفرج: حياته وآثاره** ، ط ٢ الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٠.

١٢- خالد محمد الفرج/ **ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد**، الجزء الأول، القاهرة: المطبعة العربية.

١٣- خير الدين الزركلي/ **الأعلام**: قاموس تراجم، الجزء السادس، ط ٢.

١٤- **ديوان جميل بثينة**، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٥- **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، بيروت: دار صادر.

١٦- **شرح القصائد العشر** للإمام الخطيب أبي ذكريا يحيى بن علي الكريزي، بيروت: دار الجيل.

١٧- صادق محمد أحمد بخيت/ **الأنباط والشعر النبطي**، الكويت: مطابع الهدف.

١٨- عبدالرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي/ **إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ - ١٤٠٠هـ** الجزء الأول، الكويت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

١٩- عبد الكريم بن حمد الحقيل/ **منهل المستفيد من الشعر المفيد**، الرياض: مطابع الفرزدق،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٠- عبد اللطيف سعود أبابطين/ **طرائف الكلام في شعر العوام**، **الزبير**: ١٩٤٩م، مخطوط.

٢١- عبد اللطيف سعود أبابطين/ **طرائف الكلام في شعر العوام**، مطابع الفرزدق.

٢٢- عبد الله خالد الحاتم/ أمير شعراء النبط: محمد بن لعبون، الكويت: **مجلة البيان**، العدد الأول، أبريل ١٩٦٦.

٢٣- عبد الله خالد الحاتم/ أمير شعراء النبط: محمد بن لعبون، الكويت: **مجلة البيان**، العدد الثاني، مايو ١٩٦٦.

٢٤- عبد الله خالد الحاتم/ **خيار مايلتقط من شعر النبط**، جـ١، ط٢، دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٦٨.

٢٥- عبد الله بن خميس/ **الأدب الشعبي في جزيرة العرب** ، الرياض: مطابع الرياض، ١٣٧٨هـ.

٢٦- عبد الله بن محمد بن خميس/ **الأدب الشعبي في جزيرة العرب**، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.

٢٧- عبد الله بن محمد بن خميس/ **رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصله الفصيح**. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية.

٢٨- عبد الله سعود الصقري/ **من نوادر الأشعار**.

٢٩- عبد الله بن عبد الرحمن البسام/ **علماء نجد خلال ستة قرون**، الجزء الأول، مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة.

٣٠- عبدالله العلي الزامل/ **من الأدب الشعبي**، الرياض: الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة، ١٣٩٨ هـ.

٣١- عبد المحسن بن عثمان أبابطين/ **المجموعة البهية من الأشعار النبطية**، ط ٣، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٧٨م.

٣٢- عثمان بن عبد الله بن بشر/ **عنوان المجد في تاريخ نجد**، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٣- فهد محمد الفردوس/ **ديوان ابن فردوس**، الكويت، مطابع دار السياسة.

٣٤- **كعب بن مالك الأنصاري الصحابي الشاعر الأديب**/ محمد علي الهاشمي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٥- محمد بن سعد الرقراق/ **لمحات من ماضي الزبير**، الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٦- محمد سعيد كمال/ **الأزهار النادية من أشعار البادية**، جـ١٠ يشتمل

على شعر فارس هذا الميدان ونابغة العصر والزمان الشاعر الكبير محمد بن لعبون، الطائف: مكتبة المعارف.

٣٧- مسعود بن سند بن سيحان/ **التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية**، الجزء الثاني، ص ٢٤٠ - ٢٤٩ ط ١٩٦٩م الكويت.

٣٨- مؤرخو نجد، الرياض، مجلة **العرب**، السنة الخامسة، الجزء التاسع، ربيع الأول ١٣٩١هـ، ص ٧٨٥- ٧٩٩.

٣٩- مؤرخو نجد: الرياض، مجلة **العرب**، السنة الخامسة، الجزء العاشر،ربيع الثاني ١٣٩١هـ، ص ٨٨١- ٨٩٣

٤٠- محمد بن عمر بن عقيل/ **اوزان الشعر العامي بلهجة اهل نجد والإشارة إلى بعض الحانه وفيه دراسة علمية تحليلية لعلم العروض**، مازن للطباعة، ابها ، المملكة العربية السعودية.

٤١- يوسف بن عيسى القناعي/ **الملتقطات**، ٦ جـ في المجلد،الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

٤٢- فاروق شوشة/ **احلى ٢٠ قصيدة حب في الشعر العربي**، مكتبة مدبولي. القاهرة ١٩٨٦م- ١٤٠٦هـ.

تم بحمد الله وعونه القسم الأول من كتاب

"أمير شعراء النبط محمد بن لعبون"

"مدخل لدراسة سيرته وشعره"

في غرة صفر ١٤١٦هـ - حزيران (يونيو) ١٩٩٥م

ويليه إن شاء الله القسم الثاني من الكتاب

"ديوان ابن لعبون"



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون : ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣

تصويب الأخطاء

الصفحة /السطر	الخطأ	الصواب
١٤- ٨	خالد بن عبدالله الفرج	خالد بن محمد الفرج
٢٣ - ١٢	ابن محمد	محمد
٢٣ - ١٣	المتوفى في ١٩١٤هـ.	المتوفى سنة ١٤١٤هـ.
٢٣ - ١٣	، الذي هيأت له ظروف عمله لدى...؟	تحذف- زائدة.
٢٤ - ١٤	ابن خالد	خالد
٢٤ - ١٤	ابن الحاتم	الحاتم
٣١ - ٢٢	المعروف ن	المعروف أن
٣١ - ٥	سنة ١١٩١هـ	سنة ١١٩٣هـ.
٤٠ - ١٠	في ربيع الثاني.	تحذف- زائدة.
٤٦ - ٧	القرن الحادي عشر	القرن الثاني عشر
٤٧ - ١٤	فقال	قتال
٦٥ - ٢	استشهد	استشهاد
٨٥ -١.٢.٣	وفي هذا شبة.... يحلم (٣ سطر)	تحذف- زائده
٩٦ - ١٤	أها	أنها
٩٩ - ٦	أنها من روائع فمن	انها من روائع ابن لعبون فمن
١٠٣	الهامش في ص١٠٣	ينقل إلى ص ١٠٤ عند ديم خزام
١٠٧ - ١٢	اسمل،	اسماء
١٠٨ - ٢	سعداي	سعدى
١٠٨ - ٧	حمد	احمد
١٠٩ - ١٢	الهامش (١)	يحذف- زائد.

تصويب أبيات الشعر

تقرأ الأبيات المصححة كالتالي:

الصفحة /السطر	الصدر	العجز
٤٤ - ١	سلينا لا حلال ولا حراما	عليهن الطلاق بلا جواز
٤٤ - ٤	والهواوى من هواهن محروم	غير وصل لا حلال ولا حرام
٦٣ - ٣	يفتر عن مثل الدحاريج موقه	اربع ليال مدلجات على ساق
٦٣ - ١٢	والورك والساق والفخذين	من بينهن فلقة الدانة
٦٤ - ٩	واظن هذا المستهام ابن مدلي	من لابة تحجي ولا هوب شحتوت
٧٠ - ٢٢	الى قلت هاتي حاجة لي ودنقت	تنثر لها ظليل ساف على ساف
٧٩ - ١٧	ألا يا شقا قلبي من الضيم والعنا	وصفق الهوى يامي في كل عاير
٨٠ - ١٦	وقالوا نال منها ماتمنى	وإنيّ لم أنلْ إلا الندامه
٨٤ - ١٤	ضياغم عند الخواندات واطواب	الى ظهر للبر تلقاه دبه
٨٩ - ٨	تبصر خليلي هل ترى من ظعائن	تقتزن بهم فوق الشفا من حزومها
٩٠ - ١١	وأنشدنّي بالعنا يوم أفلسن	ربما لي أو عسى لي أو قمين
٩٣ - ١٣	حي المنازل إذ لا نبتغي بدلاً	بالدار داراً وبالجيران جيرانًا
٩٣ - ١٧	ويا مي لي بك من قديم مودة	وصل الى انحل الدلى من ونومها
٩٥- ١٧	والورك والساق والفخذين	من بينهن فلقة الدانة
٩٦ - ٥	عفيف الجيب ما داس الملاما	ولا وقف على طرق المخازي
١٠٥ - ٤	عامدات نجد من بعد المساف	سقاها مرنات الفوادي ركومها
١٠٥ - ٧	علمي بهم قطن على جو ثادق	خاصات الغاط من نجد المريف
١٠٥ - ١٠	الى جيت في وادي سدير فخلها	تذب العنا مافوقها الاّ وسومها
١٠٥ - ١٧	يامنازل ميٍّ في ذيك الحزوم	قبلة الفيحاء وشرق من سنام

